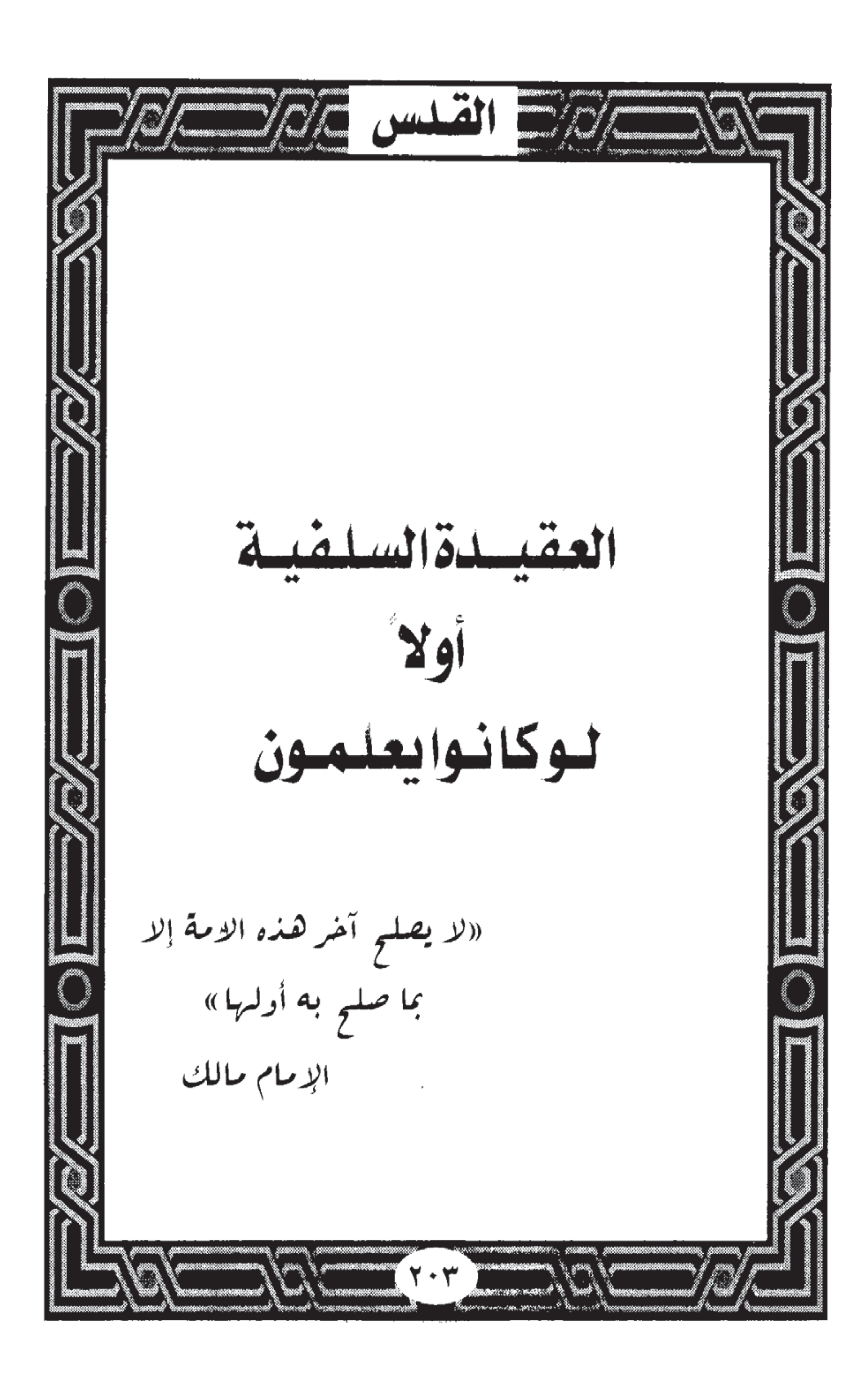


القدس

العقيدة السلفية

أولاً

لو كانوا يعلمون

«لا يصلح آخر هذه الأمة إلا

بما صلح به أولها»

الإمام مالك

العقيدة السلفية أولاً لو كانوا يعلمون

التوحيد محور الحياة ولب ورأس دعوة الرسل.. «نقطة البداية في حياة المسلم وحياة الأمة الإسلامية، وهو نقطة النهاية، ومن ضل عنه خسر كل شيء، خسر الدنيا والآخرة، وهو أضل من حمار أهله، فحياته ضنكه، وسعيه مردود، وذنبه غير مغفور، وآخرته شقاء»(١).

□ ودعوة الناس إلى توحيد اللَّه علمًا ومعرفة في القلب والضمير، وعبادة وتوجهًا بالعلم والسلوك هي القضية الكبرى في الإسلام، وهي القضية التي جرى حولها الصراع خلال تاريخ البشرية الطويل، وهي القضية التي حملها الرسل، وكانت المحور الذي ترتكز دعوتهم عليه.

والدعوة إلى التوحيد واجب الدعاة الأول.

وأصل هذه الرسالة الخالدة: كلمة التوحيد «لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه».

هذه الكلمة العظيمة «التي لأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، وأسست الملة، ولأجلها جُرِّدت السيوف للجهاد، وهي حق اللَّه على جميع العباد».

وحقيقة هذه الكلمة «مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علمًا، والتصديق به عقدًا، والإقرار به نطقًا، والانقياد له محبة

(١) «التوحيد محور الحياة» للدكتور عمر الأشقر ص(٢٩) ـ مكتبة الفلاح، دار النفائس.

وخضوعًا، والعمل به باطنًا وظاهرًا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكمال في الحب في اللَّه، والبغض في اللَّه، والعطاء للَّه، والمنع للَّه، وأن يكون اللَّه وحده إلهه ومعبوده.

والطريق إليه: تجريد متابعة رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى اللَّه ورسوله»[١].

«هذه الكلمة العظيمة بكل مفاهيمها ومقتضياتها قد غابت عن حس الناس اليوم إلا من رحم اللَّه»[٢].

□ قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ: «على الدعاة الإسلاميين اليوم ـ جميعهم ـ أن يعالجوا سوء الفهم لمعنى «لا إله إلا اللَّه»، ويعالجوا واقعهم الأليم بذلك العلاج والدواء نفسه. ومعنى هذا واضح جدًّا؛ إذا تدبرنا قول اللَّه ـ عز وجل ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

فرسولنا ﷺ هو الأسوة الحسنة في معالجة مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر وفي كل وقت وحين، ويقتضي ذلك منا أن نبدأ بما بدأ به نبينا ﷺ وهو إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين أولاً، ومن عبادتهم ثانيًا، ومن سلوكهم ثالثًا»[٣].

إن طائفة كبيرة من الدعاة «قد أعرضوا بالكلية عن الاهتمام بالأصل الأول ـ أو بالأمر الأهم، وأعرضوا عن الإصلاح الذي بدأ به

---

(١) «الفوائد» لابن القيم ص(١٤٣).

(٢) «الولاء والبراء في الإسلام» لمحمد بن سعيد القحطاني ص(١٢ ـ) دار طيبة.

(٣) «التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام» شريط مسجل للشيخ الألباني، وطبع في مجلة السلفية العدد الرابع عام ١٤١٩هـ ثم في كتاب طبع دار الفضيلة.

الرسول ﷺ، بل بدأ به كل الأنبياء، وقد بينه اللَّه تعالى بقوله:
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]
فهم لا يُعنون بهذا الأصل الأصيل والركن الأول من أركان الإسلام كما هو معلوم لدى المسلمين جميعًا؛ هذا الأصل الذي قام يدعو إليه أول رسول من الرسل الكرام ألا وهو نوح عليه السلام قرابة ألف سنة، والجميع يعلم أن الشرائع السابقة لم يكن فيها من التفصيل لأحكام العبادات والمعاملات ما هو معروف في ديننا هذا؛ لأنه الدين الخاتم للشرائع والأديان، ومع ذلك فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يصرف وقته وجلّ اهتمامه للدعوة إلى التوحيد، ومع ذلك أعرض قومه عن دعوته كما بيّن اللَّه عز وجل ذلك في محكم التنزيل. . فهذا يدل دلالة قاطعة على أن أهم شيء ينبغي على الدعاة إلى «الإسلام الحق» الاهتمام به دائمًا هو الدعوة إلى التوحيد، وهو معنى قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] هكذا كانت سنة النبي ﷺ عملاً وتعليمًا.

أما فعله: فلا يحتاج إلى بحث؛ لأن النبي ﷺ في العهد المكي إنما كان فعله ودعوته محصورة في الغالب في دعوة قومه إلى عبادة اللَّه لا شريك له.

أما تعليمًا: ففي حديث أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ الوارد في «الصحيحين» أن النبي ﷺ عندما أرسل معاذًا إلى اليمن قال له: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللَّه، فإن هم أطاعوك لذلك**...» إلخ الحديث، وهو معلوم ومشهور إن شاء اللَّه تعالى.

إذًا، قد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يبدءوا بما بدأ به وهو الدعوة

إلى التوحيد»(١) .

▫ ثم قال الشيخ الألباني: «غالب المسلمين اليوم الذين يشهدون بأن «لا إله إلا اللَّه» هم لا يفقهون معناها جيدًا». . لذلك فأنا أعتقد أن أول واجب على الدعاة المسلمين ـ حقًّا ـ هو أن يدندنوا حول هذه الكلمة وحول بيان معناها بتلخيص، ثم بتفصيل لوازم هذه الكلمة الطيبة. . أنا أقول اليوم: لا فائدة مطلقًا من تكتيل المسلمين ومن تجميعهم، ثم تركهم في ضلالهم دون فهم هذه الكلمة الطيبة، وهذا لا يفيدهم في الدنيا قبل الآخرة»(١) .

▫ ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن عقيدة التوحيد بكل لوازمها ومتطلباتها ليست واضحة للأسف في أذهان كثير ممن آمنوا بالعقيدة السلفية نفسها، فضلاً عن الآخرين الذين اتبعوا العقائد الأشعرية ـ أو الماتريدية أو الجهمية في مثل هذه المسألة»(١) .

▫ وقال أيضًا: «لا يجوز أن نتوهم بأن الدعوة إلى العقيدة الصحيحة هي اليوم من اليسر كما كان الحال في العهد الأول».

إن النبي ﷺ لما ذكر الغرباء في بعض تلك الأحاديث، قال: «**للواحد منهم خمسون من الأجر**»، قالوا: منا يا رسول اللَّه أو منهم؟ قال: «**منكم**»، وهذا من نتائج الغربة الشديدة للإسلام اليوم التي لم تكن في الزمن الأول، ولا شك أن غربة الزمن الأول كانت بين شرك صريح وتوحيد خال من كل شائبة، بين كفر بواح وإيمان صادق، أما الآن فالمشكلة بين المسلمين أنفسهم، فأكثرهم توحيده مليء بالشوائب، ويوجه

---

(١) من كلام الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ.

العبادات إلى غير اللَّه ويدعي الإيمان؛ هذه القضية ينبغي الانتباه لها أولاً، وثانيًا: لا ينبغي أن يقول بعض الناس: إننا لا بد لنا من الانتقال إلى مرحلة أخرى غير مرحلة التوحيد، وهي العمل السياسي».

. . . إننا نؤمن بالتسلسل الشرعي المنطقي في آن واحد، نبدأ بالعقيدة، ونثني بالعبادة، ثم بالسلوك؛ تصحيحًا وتربية، ثم لا بد أن يأتي يوم ندخل فيه في مرحلة السياسة بمفهومها الشرعي»(١) . قبل السياسة العقيدة.

□ يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «أصحاب الدعوة إلى دين اللَّه، وإقامة النظام الذي يتمثل فيه هذا الدين في واقع الحياة، خليقون أن يقفوا طويلاً أمام هذه الظاهرة الكبيرة. . . ظاهرة تصدي القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عامًا. . لتقرير هذه العقيدة؛ ثم وقوفه عندها لا يتجاوزها إلى شيء من تفصيلات النظام التي يقوم عليها، والتشريعات التي تحكم المجتمع المسلم الذي يعتنقها.

لقد شاءت حكمة اللَّه أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى الدعوة لها منذ اليوم الأول للرسالة، وأن يبدأ رسول اللَّه ﷺ أولى خطواته في الدعوة بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه»(٢).

□ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ: «يجب أن ندرك خطأ المحاولة، وخطرها معًا، في تحويل العقيدة الإسلامية الحية التي يجب أن تتمثل في واقع تام حي متحرك، إلى «نظرية» للدراسة والمعرفة الثقافية لمجرد أننا نريد أن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «في ظلال القرآن» (٢/ ١٠٥).

نواجه «النظريات» البشرية الهزيلة بنظرية إسلامية!.

إن العقيدة الإسلامية يجب أن تتمثل في نفوس حية»[١].

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها... من كان على مثل ما كان عليه ﷺ.

● عن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه قال: ألا إن رسول اللَّه ﷺ قام فينا فقال: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار**[٢]**، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة**»[٣].

● وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ وفيه زيادة: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[٤].

وهو حسن بشواهده.

◻ قال البربهاري في «شرح السنة»:

«ومن اقتصر على سنة رسول اللَّه ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة فَلَجَ[٥] على أهل البدعة كلهم، واستراح بدنه، وسلم له دينه إن

---

(١) المصدر السابق (٢/١٠١٣).

(٢) هذا لا يعني الخلود إلا للغلاة من الطوائف الذين مرقوا وكفّرهم أهل العلم.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢/٥٠٣ ـ ٥٠٤)، وأحمد (٤/١٠٢)، والدارمي (٢/٢٤١)، والحاكم (١/١٢٨). وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٤).

(٤) **حسن**: أخرجه الترمذي في «الإيمان» (٥/٢٦)، وابن وضاح في «البدع» ص(٨٥)، والآجري في «الشريعة» ص(١٥)، والحاكم (١/١٢٨ ـ ١٢٩)، واللالكائي في «السنة» (١٤٧)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» ص(١٦).

(٥) فلج: أي ظفر وفاز.

شاء اللَّه؛ لأن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ستفترق أمتي**»، وبين لنا رسول اللَّه ﷺ الناجي منها فقال: «**ما كنت أنا عليه اليوم وأصحابي**»[١].

فلا فلاح للناس إلا بالالتزام بعقيدة السلف علمًا وتطبيقًا فعقيدة التوحيد بكل لوازمها ومتطلباتها ليست واضحة عند كثير من الدعاة.

□ وكلمة لا إله إلا اللَّه «هذه الكلمة العظيمة بكل مفاهيمها ومقتضياتها قد غابت عن حس الناس اليوم إلا من رحم اللَّه، ومن هذه المفاهيم بل من أهمها موضوع «الولاء والبراء»[٢].

□ قال الشيخ حمد بن عتيق ـ رحمه اللَّه ـ: «إنه ليس في كتاب اللَّه تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ـ أي الولاء والبراء ـ بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده»[٣].

□ وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: «إن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحّد اللَّه، وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض، كما قال اللَّه تعالى في سورة المجادلة: ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ [المجادلة: ٢٢]»[٤].

□ ومن شروط لا إله إلا اللَّه شروط ذكرها صاحب «معارج القبول» لهذه الكلمة حتى تنفع صاحبها في الآخرة»[٥].

---

(١) «شرح السنة» للبربهاري ص(١٠٥) ـ مكتبة الغرباء الأثرية.
(٢) «الولاء والبراء» ص(٢٠).
(٣) المصدر السابق ص(٢١).
(٤) «مجموعة التوحيد» ص(١٩).
(٥) «لا إله إلا اللَّه» للدكتور ياسر برهامي ص(٥٦) ـ دار المروة.

و«ليس المراد من هذا عدّ ألفاظها وحفظها، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها، ولو قيل له اعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها والتوفيق بيد اللَّه»[١] .

*** ومن هذه الشروط :**

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك.

* قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ** ﴾ [المائدة: ٥٤].

● وفي الحديث: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللَّه منه كما يكره أن يقذف في النار»**[٢] .

□ قال الشيخ حافظ الحكمي ـ رحمه اللَّه ـ: «وعلامة حب العبد ربه: تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه، وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى اللَّه ورسوله، ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه»[٣] .

---

(١) «معارج القبول» للشيخ حافظ بن حكمي (١/ ٣٧٧).
(٢) رواه البخاري ومسلم عن أنس.
(٣) «معارج القبول» (١/ ٣٨٣).

□ قال ابن القيم[١] :

أتحب أعداء الحبيب وتدّعي حبًّا له مـــا ذاك في إمكـان

□ قال الأستاذ «محمد قطب»:

«كان من مقتضيات «لا إله إلا اللَّه» في ذلك الحين ـ وفي كل حين ـ الأخوة في اللَّه، والحب والبغض في اللَّه، والولاء والبراء في اللَّه»[٢].

. . . وقال: «وأما الولاء والبراء فهو صنو الحب والبغض»[٣] .

*** تمييع الإخوان لقضية «الولاء والبراء» وأخطاء فادحة وكلمات خطيرة لا تُقبل منهم ولا من الشيخ حسن البنا رحمه اللَّه:**

* قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ**﴾ [النساء: ١٣٥].

أقسم باللَّه أني لا أقصد إلا النصح، وليس من منهجي تتبع الزلات ونسيان المحاسن. . وكتابتي عن جهاد الإخوان في فلسطين. . مع غيرهم من بقية طوائف الأمة ـ تكفي لذب هذه التهمة عني. .

أقول ليس من قصد الحق فأخطأه كمن تعمد قصد الباطل. . نعم، ولكن من النصح للَّه ولرسوله والمؤمنين نبيّن الأخطاء الكبيرة الفادحة التي لا يجوز السكوت عنها أبدًا فالدين النصيحة.

واللَّه لقد قفّ شعري من هذه الكلمات.

لا بد أن نقول لمن أخطأ في مسألة: قد أخطأت، وللمصيب نقول:

---

(١) «النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» لابن القيم ص(١٥٨).

(٢، ٣) «كيف ندعو الناس» لمحمد قطب ص(١١٠) ـ دار الشروق.

أحسنت وبارك اللَّه فيك.. فإن انزلاق هؤلاء الدعاة وخطؤهم في قضية «الولاء والبراء» وتساهلهم فيها بغير دليل شرعي أمر يرفضه الإسلام ويأباه؛ لأن موضع القدوة لنا هو رسول اللَّه ﷺ وصحابته الأجلاء وسلفنا الصالح وكفى.. وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول اللَّه ﷺ.

وليس من حق فرد - كائنًا من كان أن يجعل من آرائه سلمًا يرتقي عليه الموالون للكفار.

أقول هذا الكلام تقدمة بين يدي الكلام الآتي لكبار دعاة الإخوان المسلمين عفا اللَّه عنهم.. لو ألقي هذا الكلام على مسامعنا بدون معرفة القائل لتوهمنا أنه صاحب كامب ديفيد أو حسن المغرب أو حسين الأردن.

◻ وأقسم باللَّه لست مبالغًا، عفا اللَّه عنا وعن الجميع، واستمع إلى العجب العجاب...

◻ «خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن حضّ على مصافاتهم ومصادقتهم»، هكذا يقول حسن البنا غفر اللَّه له.

◻ ما هكذا تورد الإبل.. هذا خطأ كبير لا بد من النزول عنه.

في كتاب «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل» للأستاذ محمود عبد الحليم[1] وقدم له مرشد الإخوان المسلمين الحالي الأستاذ مصطفى مشهور وقال عن الكتاب «مادة تعين الباحثين على مهمة التأريخ الصادق لهذه الجماعة، ومصدرًا يرجع إليه كل إنسان شريف ينشد الحقيقة في مظانها الصحيحة!!!»[2]، وطبع هذا الكتاب في دار الدعوة بالإسكندرية...

---

(١) قال عنه الأستاذ مصطفى مشهور في مقدمته للكتاب: «من الرواد الأوائل الذين سبقوا إلى هذه الجماعة وعاشوا وجاهدوا في ظلها وعاصروا أحداثها منذ الثلاثينات».

(٢) مقدمة الكتاب ص(٨).

□يقول الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه في الجزء الأول، تحت عنوان الفصل الثاني «في فلسطين»:

يقول عن «لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية» التي حضرت إلى مصر في سنة ١٩٤٦م، وطافت هذه اللجنة بالبلاد العربية متظاهرة بأنها لجنة تبحث عن العدالة بالاستماع إلى أطراف النزاع، وقد حضرت إلى مصر وعقدت في القاهرة جلستين، وكانت جلستها الأخيرة في ٥/٣/١٩٤٦م وقد استمعت في هذه الجلسة إلى السيد مراد البكري وعبد المجيد صالح باشا وصالح حرب باشا والدكتور منصور فهمي باشا والأستاذ المرشد العام.. تقول جريدة المصري: وقد تكلّم الجميع في حماس مخلّ ثم ساد الجلسة السكون عندما جاء دور الشيخ حسن البنا، وقد ارتجل كلمة هادئة رزينة باللغة العربية جمعت بين قوة الحجة وسرعة البديهة وحضور النكتة. وتولى الترجمة الأستاذ أحمد السكري وكيل الإخوان المسلمين.

وقد استهل الشيخ البنا كلمته بالاعتذار عن إلقائها باللغة الإنجليزية - ثم قال: «إنه لا يريد أن يتحدث عن مشكلة فلسطين من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقد طال فيها البحث ولا حاجة إلى تكرار ما قيل. واستطرد قائلاً: «باسم الإخوان المسلمين أؤيد ما أعلنه العرب وزعماؤهم ومندوبوهم وكذلك الجامعة العربية!!

والناحية التي سأتحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية؛ لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي، ولهذا فإني أحب أن أوضحها باختصار؛ فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية!!! لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم!!!!!!!!، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة

قومية وقد أثنى عليهم!!!! وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وحينما أراد القرآن الكريم أن يتناول مسألة اليهود تناولها م الوجهة الاقتصادية والقانونية، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾.

ونحن حين نعارض بكل قوة الهجرة اليهودية، نعارضها لأنها تنطوي على خطر سياسي اقتصادي، وحقنا أن تكون فلسطين عربية.

ولي كلمة أخيرة: **من الوجهة الدينية؛ فإن اليهود يقولون عن فلسطين إنها أرض الميعاد.. ونحن لا مانع لدينا من أن يكونوا في يوم القيامة معنا!!!!»**[1].

لا يعلم إلا اللَّه وحده مدى حزني وغمي وكآبتي لمثل هذا القول من الشيخ حسن البنا، وكان فقد ناظري أهون عليّ من قراءة هذا، وأردت أن أتحقق من هذا الكلام.. وعلى مرأى من الناس ومسمع في مسجد المدينة الجامعية الجديدة بالأسكندرية ناقشتُ الأستاذ مصطفى مشهور في هذا الكلام وأنه ينبغي أن يحذف هذا الكلام؛ لأنه يسيء إلى تاريخ الشيخ حسن البنا ـ رحمه اللَّه ـ، وإذا برد الأستاذ مصطفى مشهور ينزل عليّ وعلى الملأ ينزل عليّ كالصاعقة إذ قال مدافعًا: «كيف تبغض أناسًا وأنت تريد أن تدعوهم إلى الإسلام؟!».

إن أنس نفسي لن أنسى هذا الكلام ما حييت...

---

(١) «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل» لمحمود عبد الحليم عضو الهيئة التأسيسية الجزء الأول ص(٤٠٩ ـ ٤١٠) ـ دار الدعوة بالأسكندرية.

ويا ليته سكت، وتذكرت مقالة الأستاذ «محمد محمد حسين» في كتابه القيم «الإسلام والحضارة الغربية» حيث قال:

«نحن حين ندعو إلى إعادة النظر في تقويم الرجال لا نريد أن ننقص من قدر أحد، ولكننا لا نريد أن تقوم في مجتمعنا أصنام[1] جديدة معبودة لأناس يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ، وأن أعمالهم كلها حسنات لا تقبل القدح والنقد، حتى أن المخدوع بهم والمتعصب لهم والمروّج لآرائهم ليهيج ويموج إذا وصف أحد الناس إمامًا من أئمتهم بالخطأ في رأي من آرائه، في الوقت الذي لا يهيجون فيه ولا يموجون حين يُوصف أصحاب رسول اللَّه ﷺ بما لا يقبلون أن يوصف به زعماؤهم المعصومون»[2].

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[آل عمران: ١١٨].

«نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين، ويواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والجوار فأنزل اللَّه هذه الآية تنهاهم عن مباطنتهم، خوف الفتنة منهم عليهم»[3].

إن كل جملة قالها البنا تحتاج إلى الرد المفصل عليها، وليس هذا مجالها.

---

(١) هذا الكلام على العموم.. لا نقصد به شخص الشيخ حسن البنا ـ غفر اللَّه له ـ وإنما هو كلام عام فليست أخطاء أي إنسان ـ مهما كان ـ مقدسة.

(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» ص(٥٠).

(٣) «أسباب النزول» للواحدي ص(٦٨).

* لأستاذ حامد أبو النصر مرشد الإخوان والخطأ العقائدي الكبير ـ غفر اللَّه له ـ وقوله: «لا نعادي اليهود من أجل دينهم»:

يقول الأستاذ حامد أبو النصر: «نحن الإخوان المسلمون لا نُعادي اليهود من أجل دينهم أو عقيدتهم فلكل دينه وعقيدته، ولا نحارب أصحاب الأديان من أجل دينهم فلهم دينهم ولنا ديننا»[١] !!!!!.

❑ هل يُعقل أن يقول هذا كبير جماعة الإخوان!!! فماذا أبقيتم للسادات؟؟

* وإليك الطامة الكبرى:

يقول الإستاذ حامد أبو النصر في مقالة له بمجلة المجتمع بعنوان «رسالة من الإخوان المسلمين إلى الرئيس حسني مبارك»: «وأخيرًا فإنه ينبغي علينا أن نصر إصرارًا لا تفريط فيه ولا مساومة معه، على ضرورة اعتراف إسرائيل بحق تقرير المصير للفلسطينيين حتى يقيموا دولة مستقلة على ترابهم الوطني وعاصمتها القدس، وينبغي أن نحرص تمام الحرص ألا يضيّع هذا الطلب أي تزيّد أو تشدد»[٢] .

أليس هذا اعترافًا من الإخوان بحق إسرائيل في الوجود؟! هل تمحون جهادكم على أرض فلسطين..؟ اتقوا اللَّه في شباب المسلمين.. إنكم تضيّعون أحلى ما عندكم...

* الرد على هذه الأخطاء الشنيعة:

الولاء والبراء من لوازم «لا إله إلا اللَّه». ولا تجوز موالاة اليهود

---

(١) مجلة المجتمع ـ العدد ٧٨٣ ـ ١٢ محرم ١٤٠٧ هـ ص(١٦).

(٢) مجلة المجتمع ـ عدد ٨١٠ ـ ٢٤/ ٨٧٣ ص(٢٠).

والنصارى ومصافاتهم أو مصادقتهم:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ في «تفسيرها»: «من تولى اليهود والنصارى من دون الله، فإنه منهم، أي من أهل دينهم وملّتهم، فإنه لا يتولى متولٍ أحداً إلا وهو به وبدينه وما عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه»[١].

وقال ابن حزم: «صحّ أن قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين»[٢].

وقال ابن تيمية: «أخبر الله في هذه الآية: أن متوليهم هو منهم وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨١].

فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب. فالقرآن يصدق بعضه بعضًا»[٣].

وقال ابن القيم: «إن الله قد حكم ولا أحسن من حكمه ـ أنه مَن تولى اليهود والنصارى، فهو منهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

---

(١) «تفسير الطبري» (٦/ ٢٧٧).

(٢) «المحلى» لابن حزم (١٣/ ٣٥).

(٣) «الإيمان» لابن تيمية ص(١٤) ـ المكتب الإسلامي.

فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم. وهذا عام، خصّ منهم من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فإنه يقر ولا تقبل منه الجزية، بل إما الإسلام أو السيف لأنه مرتد بالنص والإجماع»[1].

□ قال الأستاذ سيد قطب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

«نزل القرآن ليبث الوعي اللازم للمسلم في المعركة التي يخوضها بعقيدته، لتحقيق منهجه الجديد في واقع الحياة. ولينشئ في ضمير المسلم تلك المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من لا ينتمي إلى الجماعة المسلمة، ولا يقف تحت رايتها الخاصة. المفاصلة التي لا تنهي السماحة الخلقية. فهذه صفة المسلم دائمًا. ولكنها تنهي الولاء الذي لا يكون في قلب المسلم إلا للَّه ورسوله والذين آمنوا.. الوعي والمفاصلة اللذان لا بد منهما للمسلم في كل أرض وفي كل جيل».

* ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: إنها حقيقة لا علاقة لها بالزمن؛ لأنها حقيقة نابعة من طبيعة الأشياء.. إنهم لن يكونوا أولياء للجماعة المسلمة في أي أرض ولا في أي تاريخ.. وقد مضت القرون تلو القرون ترسم مصداق هذه القولة الصادقة، لقد ولي بعضهم بعضًا في حرب محمد ﷺ والجماعة المسلمة في المدينة، وولي بعضهم بعضًا في كل فجاج الأرض، على مدار التاريخ، ولم تختل هذه القاعدة مرة واحدة، ولم يقع في هذه الأرض إلا ما قرره القرآن الكريم، في صيغة الوصف

(١) «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ٦٧، ٦٩).

الدائم، لا الحادث المفرد، واختيار الجملة الاسمية على هذا النحو ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: ليست مجرد تعبير! إنما هي اختيار مقصود للدلالة على الوصف الدائم الأصيل!.

ثم رتب على هذه الحقيقة الأساسية نتائجها، فإنه إذا كان اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، فإنه لا يتولاهم إلا من هو منهم. والفرد الذي يتولاهم من الصف المسلم، يخلع نفسه من الصف ويخلع عن نفسه صفة هذا الصف «الإسلام» وينضم إلى الصف الآخر؛ لأن هذه هي النتيجة الطبيعية الواقعية:

* ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: وكان ظالمًا لنفسه ولدين اللَّه وللجماعة المسلمة.. وبسبب من ظلمه هذا يدخله اللَّه في زمرة اليهود والنصارى الذين أعطاهم ولاءه. ولا يهديه إلى الحق ولا يرده إلى الصف المسلم:

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: لقد كان هذا تحذيرًا عنيفًا للجماعة المسلمة في المدينة. ولكنه تحذير ليس مبالغًا فيه. فهو عنيف، نعم؛ ولكنه يمثل الحقيقة الواقعة. فما يمكن أن يمنح المسلم ولاءه لليهود والنصارى - وبعضهم أولياء بعض - ثم يبقى له إسلامه وإيمانه، وتبقى له عضويته في الصف المسلم، الذي يتولى اللَّه ورسوله والذين آمنوا.. فهذا مفرق الطريق.

وما يمكن أن يتميع حسم المسلم في المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من ينهج غير منهج الإسلام؛ وبينه وبين كل من يرفع راية غير راية الإسلام؛ ثم يكون في وسعه بعد ذلك أن يعمل عملاً ذا قيمة في الحركة الإسلامية الضخمة التي تستهدف - أول ما تستهدف - إقامة نظام واقعي

في الأرض فريد؛ يختلف عن كل الأنظمة الأخرى، ويعتمد على تصور متفرد كذلك من كل التصورات الأخرى.

إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم، الذي لا أرجحة به ولا تردد، بأن دينه هو الدين الوحيد الذي يقبله اللَّه من الناس ـ بعد رسالة محمد ﷺ ـ وبأن منهجه الذي كلفه اللَّه أن يقيم الحياة عليه، منهج متفرد، لا نظير له بين سائر المناهج، ولا يمكن الاستغناء عنه بمنهج آخر، ولا يمكن أن يقوم مقامه منهج آخر، ولا تصلح الحياة البشرية ولا تستقيم إلا أن تقوم على هذا المنهج وحده دون سواه، ولا يعفيه اللَّه ولا يغفر له ولا يقبله إلا إذا هو بذل جهد طاقته في إقامة هذا المنهج بكل جوانبه: الاعتقادية والاجتماعية؛ لم يأل في ذلك جهدًا، ولم يقبل من منهجه بديلاً ـ ولا في جزء منه صغير ـ ولم يخلط بينه وبين أي منهج آخر في تصور اعتقادي، ولا في نظام اجتماعي، ولا في أحكام تشريعية، إلا ما استبقاه اللَّه في هذا المنهج من شرائع مَن قبلنا من أهل الكتاب.

إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم بهذا كله هو ـ وحده ـ الذي يدفعه للاضطلاع بعبء النهوض بتحقيق منهج اللَّه الذي رضيه للناس، في وجه العقبات الشاقة، والتكاليف المضنية، والمقاومة العنيدة، والكيد الناصب، والألم الذي يكاد يجاوز الطاقة في كثير من الأحيان، وإلا فما العناء في أمر يغني عنه غيره ـ مما هو قائم في الأرض من جاهلية.. سواء كانت هذه الجاهلية ممثلة في وثنية الشرك، أو في انحراف أهل الكتاب، أو في الإلحاد السافر.. بل ما العناء في إقامة المنهج الإسلامي، إذا كانت الفوارق بينه وبين مناهج أهل الكتاب أو غيرهم قليلة، يمكن الالتقاء عليها بالمصالحة والمهادنة؟

إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة، باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية، يخطئون فهم معنى الأديان كما يخطئون فهم معنى التسامح. فالدين هو الدين الأخير وحده عند اللَّه. والتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي.. إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن اللَّه لا يقبل دينًا إلا الإسلام، وبأن عليه أن يحقق منهج اللَّه الممثل في الإسلام ولا يقبل دونه بديلاً، ولا يقبل فيه تعديلاً ـ ولو طفيفًا ـ هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يقرر: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.. وفي القرآن كلمة الفصل.. ولا على المسلم من تميع المتميعين وتمييعهم لهذا اليقين!»[1].

ويقول أيضًا بعد سرده لبعض الآثار:

فهذه الأخبار في مجموعها تشير إلى تلك الحالة التي كانت واقعة في المجتمع المسلم، والمتخلفة عن الأوضاع التي كانت قائمة في المدينة قبل الإسلام، وكذلك عن التصورات التي لم تكن قد حسمت في قضية العلاقات التي يمكن أن تقوم بين الجماعة المسلمة واليهود والتي لا يمكن أن تقوم.. غير أن الذي يلفت النظر أنها كلها تتحدث عن اليهود، ولم يجئ ذكر في الوقائع للنصارى.. ولكن النص يجمل اليهود والنصارى،

(١) «الظلال» (٢/ ٩١١ ـ ٩١٢).

ذلك أنه بصدد إقامة تصور دائم وعلاقة دائمة وأوضاع دائمة بين الجماعة المسلمة وسائر الجماعات الأخرى، سواء من أهل الكتاب أو من المشركين (كما سيجيء في سياق هذا الدرس)، ومع اختلاف مواقف اليهود من المسلمين عن مواقف النصارى في جملتها في العهد النبوي، ومع إشارة القرآن الكريم في موضع آخر من السورة إلى هذا الاختلاف في قوله تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ...**﴾ إلخ.. مع هذا الاختلاف الذي كان يومذاك، فإن النص هنا يسوي بين اليهود والنصارى ـ كما يسوي النص القادم بينهم جميعًا وبين الكفار.. فيما يختص بقضية المحالفة والولاء. ذلك أن هذه القضية ترتكز على قاعدة أخرى ثابتة هي: أن ليس للمسلم ولاء ولا حلف إلا مع المسلم، وليس للمسلم ولاء إلا للَّه ولرسوله ﷺ وللجماعة المسلمة، ويستوي بعد ذلك كل الفرق في هذا الأمر، مهما اختلفت مواقفهم من المسلمين في بعض الظروف.

على أن اللَّه سبحانه وهو يضع للجماعة المسلمة هذه القاعدة العامة الحازمة الصارمة، كان علمه يتناول الزمان كله، لا تلك الفترة الخاصة من حياة رسول اللَّه ﷺ وملابساتها الموقوتة، وقد أظهر التاريخ الواقع فيما بعد أن عداء النصارى لهذا الدين وللجماعة المسلمة في معظم بقاع الأرض لم يكن أقل من عداء اليهود، وإذا نحن استثنينا موقف نصارى العرب ونصارى مصر في حسن استقبال الإسلام، فإننا نجد الرقعة النصرانية في الغرب، قد حملت للإسلام في تاريخها كله منذ أن احتكت به من العداوة والضغن، وشنت عليه من الحرب والكيد، ما لا

يفترق عن حرب اليهود وكيدهم في أي زمان! حتى الحبشة التي أحسن عاهلها استقبال المهاجرين المسلمين واستقبال الإسلام، عادت فإذا هي أشد حربًا على الإسلام والمسلمين من كل أحد، لا يجاريها في هذا إلا اليهود.

وكان اللَّه سبحانه يعلم الأمر كله. فوضع للمسلم هذه القاعدة العامة. بغض النظر عن واقع الفترة التي كان هذا القرآن يتنزل فيها وملابساتها الموقوتة! وبغض النظر عما يقع مثلها في بعض الأحيان هنا وهناك إلى آخر الزمان.

وما يزال الإسلام والذين يتصفون به ـ ولو أنهم ليسوا من الإسلام في شيء ـ يلقون من عنت الحرب المشبوبة عليهم وعلى عقيدتهم من اليهود والنصارى في كل مكان على سطح الأرض، ما يصدق قول اللَّه تعالى: ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾، وما يحتم أن يتدرع المسلمون الواعون بنصيحة ربهم لهم. بل بأمره الجازم، ونهيه القاطع، وقضائه الحاسم في المفاصلة الكاملة بين أولياء اللَّه ورسوله، وكل معسكر آخر لا يرفع راية اللَّه ورسوله.

إن الإسلام يكلف المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعًا على أساس العقيدة. فالولاء والعداء لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على السواء إلا في العقيدة، ومن ثم لا يمكن أن يقوم الولاء ـ وهو التناصر ـ بين المسلم وغير المسلم؛ إذ إنهما لا يمكن أن يتناصرا في مجال العقيدة، ولا حتى أمام الإلحاد مثلاً ـ كما يتصور بعض السذج منا وبعض من لا يقرءون القرآن! ـ وكيف يتناصران؟ وليس بينهما أساس مشترك يتناصران عليه؟!!

إن بعض من لا يقرءون القرآن، ولا يعرفون حقيقة الإسلام،

وبعض المخدوعين أيضًا يتصورون أن الدين كله دين! كما أن الإلحاد كله إلحاد! وأنه يمكن إذن أن يقف «التدين» بجملته في وجه الإلحاد؛ لأن الإلحاد ينكر الدين كله، ويحارب التدين على الإطلاق.

ولكن الأمر ليس كذلك في التصور الإسلامي، ولا في حس المسلم الذي يتذوق الإسلام، ولا يتذوق الإسلام إلا من يأخذه عقيدة، وحركة بهذه العقيدة، لإقامة النظام الإسلامي.

إن الأمر في التصور الإسلامي وفي حس المسلم واضح محدد، الدين هو الإسلام، وليس هناك دين غيره يعترف به الإسلام؛ لأن اللَّه سبحانه يقول هذا، يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، ويقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، وبعد رسالة محمد ﷺ لم يعد هناك دين يرضاه اللَّه ويقبله من أحد إلا هذا «الإسلام».. في صورته التي جاء بها محمد ﷺ وما كان يقبل قبل بعثة محمد من النصارى لم يعد الآن يقبل. كما أن ما كان يقبل من اليهود قبل بعثة عيسى عليه السلام، لم يعد يقبل منهم بعد بعثته.

ووجود يهود ونصارى ـ من أهل الكتاب ـ بعد بعثة محمد ﷺ ليس معناه أن اللَّه يقبل منهم ما هم عليه، أو يعترف لهم بأنهم على دين إلهي، لقد كان ذلك قبل بعثة الرسول الأخير، أما بعد بعثته فلا دين ـ في التصور الإسلامي وفي حس المسلم ـ إلا الإسلام، وهذا ما ينص عليه القرآن نصًّا غير قابل للتأويل.

إن الإسلام لا يكرههم على ترك معتقداتهم واعتناق الإسلام؛ لأنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ولكن هذا ليس معناه أنه يعترف بما هم عليه «دينًا» ويراهم على «دين».

ومن ثم فليس هناك جبهة تدين يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد! هناك «دين» هو الإسلام، وهناك «لا دين» هو غير الإسلام، ثم يكون هذا اللادين عقيدة أصلها سماوي ولكنها محرفة، أو عقيدة أصلها وثني باقية على وثنيتها، أو إلحادًا ينكر الأديان، تختلف فيما بينها كلها. ولكنها تختلف كلها مع الإسلام. ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء...

والمسلم يتعامل مع أهل الكتاب هؤلاء؛ وهو مطالب بإحسان معاملتهم - كما سبق - ما لم يؤذوه في الدين، ويباح له أن يتزوج المحصنات منهن - على خلاف فقهي فيمن تعتقد بألوهية المسيح أو بنبوته، وفيمن تعتقد التثليث أهي كتابية تحل أم مشركة تحرم - وحتى مع الأخذ بمبدأ تحليل النكاح عامة، فإن حسن المعاملة وجواز النكاح، ليس معناها الولاء والتناصر في الدين، وليس معناها اعتراف المسلم بأن دين أهل الكتاب - بعد بعثة محمد - ﷺ هو دين يقبله اللَّه، ويستطيع الإسلام أن يقف معه في جبهة واحدة لمقاومة الإلحاد!

إن الإسلام قد جاء ليصحح اعتقادات أهل الكتاب، كما جاء ليصحح اعتقادات المشركين والوثنيين سواء. ودعاهم إلى الإسلام جميعًا؛ لأن هذا هو «الدين» الذي لا يقبل اللَّه غيره من الناس جميعًا. ولما فهم اليهود أنهم غير مدعوين إلى الإسلام، وكبر عليهم أن يدعوا إليه، جابههم القرآن الكريم بأن اللَّه يدعوهم إلى الإسلام، فإن تولوا عنه فهم كافرون!

والمسلم مكلف أن يدعو أهل الكتاب إلى الإسلام، كما يدعو الملحدين والوثنيين سواء. وهو غير مأذون في أن يُكره أحدًا من هؤلاء

ولا هؤلاء على الإسلام؛ لأن العقائد لا تنشأ في الضمائر بالإكراه. فالإكراه في الدين فوق أنه منهي عنه، هو كذلك لا ثمرة له.

ولا يستقيم أن يعترف المسلم بأن ما عليه أهل الكتاب ـ بعد بعثة محمد ﷺ ـ هو دين يقبله اللَّه، ثم يدعوهم مع ذلك إلى الإسلام! إنه لا يكون مكلفًا بدعوتهم إلى الإسلام إلا على أساس واحد، هو أنه لا يعترف بأن ما هم عليه دين. وأنه يدعوهم إلى الدين.

وإذا تقررت هذه البديهية، فإن لا يكون منطقيًّا مع عقيدته إذا دخل في ولاء أو تناصر للتمكين للدين في الأرض، مع من لا يدين بالإسلام.

إن هذه القضية في الإسلام قضية اعتقادية إيمانية. كما أنها قضية تنظيمية حركية!

من ناحية أنها قضية إيمانية اعتقادية نحسب أن الأمر قد صار واضحًا بهذا البيان الذي أسلفناه، وبالرجوع إلى النصوص القرآنية القاطعة بعدم قيام ولاء بين المسلمين وأهل الكتاب.

ومن ناحية أنها قضية تنظيمية حركية الأمر واضح كذلك، فإذا كان سعي المؤمن كله ينبغي أن يتجه إلى إقامة منهج اللَّه في الحياة ـ وهو المنهج الذي ينص عليه الإسلام كما جاء به محمد ﷺ بكل تفصيلات وجوانب هذا المنهج، وهي تشمل كل نشاط الإنسان في الحياة، فكيف يمكن إذن أن يتعاون المسلم في هذا السعي مع من لا يؤمن بالإسلام دينًا ومنهجًا ونظامًا وشريعة، ومن يتجه في سعيه إلى أهداف أخرى ـ إن لم تكن معادية للإسلام وأهدافه فهي على الأقل ليست أهداف الإسلام ـ إذ الإسلام لا يعترف بهدف ولا عمل لا يقوم على أساس العقيدة مهما بدا في ذاته صالحًا ـ والذين كفروا ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

والإسلام يكلف المسلم أن يخلص سعيه كله للإسلام.. ولا يتصور إمكان انفصال أية جزئية في السعي اليومي في حياة المسلم عن الإسلام، لا يتصور إمكان هذا إلا من لا يعرف طبيعة الإسلام وطبيعة المنهج الإسلامي، ولا يتصور أن هناك جوانب في الحياة خارجة عن هذا المنهج يمكن التعاون فيها مع من يعادي الإسلام، أو لا يرضى من المسلم إلا أن يترك إسلامه، كما نص اللَّه في كتابه على ما يطلبه اليهود والنصارى من المسلم ليرضوا عنه!.. إن هناك استحالة اعتقادية كما أن هناك استحالة عملية على السواء.

ولقد كان اعتذار عبد اللَّه بن أبي بن سلول، وهو من الذين في قلوبهم مرض، عن مسارعته واجتهاده في الولاء ليهود، والاستمساك بحلفه معها، هي قوله: إنني رجل أخشى الدوائر! إني أخشى أن تدور علينا الدوائر وأن تصيبنا الشدة، وأن تنزل بنا الضائقة، وهذه الحجة هي علامة مرض القلب وضعف الإيمان، فالولي هو اللَّه، والناصر هو اللَّه، والاستنصار بغيره ضلالة، كما أنه عبث لا ثمرة له، ولكن حجة ابن سلول، هي حجة كل ابن سلول على مدار الزمان، وتصوره هو تصور كل منافق مريض القلب، لا يدرك حقيقة الإيمان، وكذلك نفر قلب عبادة بن الصامت من ولاء يهود بعد ما بدا منهم ما بدا؛ لأنه قلب مؤمن فخلع ولاء اليهود وقذف به، حيث تلقاه وضم عليه صدره وعض عليه بالنواجذ عبد اللَّه بن أبي بن سلول!

إنهما نهجان مختلفان، ناشئان عن تصورين مختلفين، وعن شعورين متباينين، ومثل هذا الاختلاف قائم على مدار الزمان بين قلب مؤمن وقلب لا يعرف الإيمان!»[1].

---

(١) «الظلال» (٢/ ٩١٣ ـ ٩١٦).

ويقول ـ رحمه اللَّه ـ: «إن البعض يخلط بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه وبين الولاء الذي لا يكون إلا للَّه ولرسوله ﷺ وللجماعة المسلمة، ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة، وأن هذا شأن ثابت لهم، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم.

وسذاجة أية سذاجة، وغفلة أية غفلة أن تظن أن لنا وإياهم طريقًا واحدًا نسلكه للتمكين للدين!! أمام الكفار والملحدين. فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة ضد المسلمين.

فلندع من يغفل عن هذا ولنكن واعين للتوجيه القرآني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾[1] .

* نحن لا نكفر أحداً إلا بيقين وبعد قيام الحجة عليه:

نحن لا نكفر أحدًا وليس هذا من طبعنا، ولو أن هناك ألف باب لتكفير الرجل، وباب واحد نحكم به على الرجل بالإسلام لحكمنا له بالإسلام.

فنحن نحكم بالإسلام بأدنى شبهة ولا نُخرِج من الإسلام إلا بيقين.

ونعلم أن هناك فرقًا بين «كفر النوع وكفر العين» وأن الرجل قد يرتكب الكفر الأكبر ولا يكفر به، فربما كان الرجل جاهلاً أو متأولاً أو نشأ ببلدة لا تعرف الإسلام، أو كان حديث عهد بإسلام أو غلبة علماء السوء على البلدة.

---

(١) «الظلال» (٢/ ٩٠٩ ـ ٩١٠).

* وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣].

«فهذا أمر من اللَّه بمباينة الكفار، وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهْي عن موالاتهم إذا اختاروا الكفر على الإيمان»[١].

قال القرطبي: «وهذه الآية باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين»[٢]

* وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال ابن كثير: «قد شُرِعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم إلى أن توحدوا اللَّه فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأنداد والأوثان»[٣].

واليهود والنصارى كفار مخلدون في النار بنص القرآن والسنة وإجماع المسلمين.. وتكفي آية واحدة من كتاب اللَّه لا ننساها إن نسينا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٦).
(٢) «أحكام القرآن للقرطبي» (٨/ ٩٤).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١٣/ ٥١٣) ـ مكتبة أولاد الشيخ.

أسماءنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

ومن أصدق من اللَّه قيلاً؟. فالعداوة والبغضاء بيننا وبينهم حتى يسلموا ولا عبرة بقول حسن البنا وحامد أبو النصر. .

□ يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ:

«هي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم، وهو الكفر بهم والإيمان باللَّه، وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم باللَّه وحده. وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئًا من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان.

وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل. وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين»[1] .

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم

---

(١) «الظلال» (٦/ ٣٥٤٢).

بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ١، ٢].

□ قال ابن كثير في «تفسيره» (١٣/ ٥١١): «نهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء».

□ وقال سيد قطب في «الظلال» (٦/ ٣٥٤٠ ـ ٣٥٤١): «يذكرهم بجريرة هؤلاء الأعداء عليهم وعلى دينهم وعلى رسولهم، وعدوانهم على هذا كله في تجنّ وظلم، فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة؟ كفروا بالحق، وأخرجوا الرسول والمؤمنين، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا باللَّه ربهم؟ والأدهى من هذا كله والأشد والأنكى ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

وهذه عند المؤمن أشد من كل أذى ومن كل سوء يصيبه باليد أو اللسان، فالذي يود له أن يخسر هذا الكنز العزيز.. كنز الإيمان ويرتد إلى الكفر هو أعدى من كل عدو يؤذيه باليد واللسان!

والذي يذوق حلاوة الإيمان بعد الكفر، ويهتدي بنوره بعد الضلال، ويعيش عيشة المؤمن بتصوراته ومداركه ومشاعره واستقامة طريقه وطمأنينة قلبه يكره العودة إلى الكفر كما يكره أن يُلقى في النار أو أشد، فعدو اللَّه هو الذي يود أن يرجعه إلى جحيم الكفر وقد خرج منه إلى جنة الإيمان، وإلى فراغ الكفر الخاوي بعد عالم الإيمان المعمور».

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

* وقال تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير: «من اتخذ الكفار أعوانًا وأنصارًا وظهورًا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من اللَّه في شيء، أي قد برئ من اللَّه وبرئ اللَّه منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل»[1].

* وقال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال الأستاذ «سيد قطب» في «الظلال» (٦/ ٣٥١٤ ـ ٣٥١٥):

«إنها المفاصلة الكاملة بين حزب اللَّه وحزب الشيطان.. ما جعل اللَّه لرجل من قلبين في جوفه، وما يجمع إنسان في قلب واحد وُدّين: ودًّا للَّه ورسوله وودًّا لأعداء اللَّه ورسوله! فإما إيمان أو لا إيمان. أمّا هما

(١) «تفسير الطبري» (٣/ ٢٢٨).

معًا فلا يجتمعان.

فراوبط الدم والقرابة هذه تنقطع عند حد الإيمان.. إنها يُمكن أن تُرعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين: لواء اللَّه ولواء الشيطان. والصحبة بالمعروف للوالديْنِ المشركيْن مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب اللَّه وحزب الشيطان. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطّعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد. ولقد قتل أبو عبيدة أباه في يوم بدر، وهمّ الصديق بقتل ولده عبد الرحمن، وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد ابن عُمير، وقتل عُمر وحمزة وعلى وعبيدة والحارث أقرباءهم وعشيرتهم، متجردين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة. وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان اللَّه...

وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين: حزب اللَّه وحزب الشيطان، وإلى رايتين اثنتين: راية الحق وراية الباطل. فإما أن يكون الفرد من حزب اللَّه فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل، وهما صفّان متميزان لا يختلطان ولا يتميّعان!!

لا نسب ولا صهر، ولا أهل ولا قرابة، ولا وطن ولا جنس، ولا عصبية ولا قومية.. إنما هي العقيدة والعقيدة وحدها».

● عن جرير بن عبد اللَّه البجلي - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ بايعه على أن: **«تنصح لكل مسلم وتبرأ من الكافر»**[١].

---

(١) حديث حسن: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٥٧) - ط ٢ - المكتب الإسلامي.

● وقال رسول الله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[١].

● وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله»[٢].

● وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «من أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[٣].

* حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى هي من أجل العقيدة:

□ قال الأستاذ سيد قطب - رحمه الله -: «إن حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة هي من أجل العقيدة. وهم قد يختصمون فيما بينهم ولكنهم يلتقون دائمًا في المعركة ضد الإسلام والمسلمين.

وقد يرفعون لهذه المعركة أعلامًا شتى - في خبث ومكر وتورية - لأنهم قد جرّبوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة، فخوفًا من حماس العقيدة الإسلامية وجيشانها: أعلنوا الحرب باسم الأرض والاقتصاد والسياسة والمراكز العسكرية، وألقوْا في

---

(١) حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» ص(٤٥)، والطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود مرفوعًا، وحسنه الألباني في تخريج «الإيمان» لابن أبي شيبة.

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٣٦).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، والضياء، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٠).

روع المخدوعين منا: أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها! ولايجوز رفع رايتها، وخوض المعركة باسمها، فهذه سمة المتخلفين المتعصبين! وذلك ليأمنوا جيشان العقيدة من جديد، بينما هم في قرارة نفوسهم جميعًا يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها فأدمتهم جميعًا!.

فإذا نحن خُدعنا بخديعتهم فلا نلومنّ إلا أنفسنا، ونحن نبتعد عن توجيه اللَّه لنبيه ﷺ ولأمته وهو سبحانه أصدق القائلين: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

هذا هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه وما سواه فمرفوض مردود. ولكن الأمر الحازم والتوجيه الصادق ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ على سبيل القصر والحصر، هدى اللَّه هو الهدى وما عداه فليس بهدى»[1].

□ إذا نحن خُدعنا بخديعتهم فلا نلومن إلا أنفسنا، ومن أصدق من اللَّه قيلاً؟ ومن أصدق من اللَّه حديثًا؟

* قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

* وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

(١) «الظلال» (١/١٠٨) بتصرف.

* وقال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨].

* وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [النساء: ٤٤].

* وقال تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً.. ﴾ [النساء: ٨٩].

* وقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ الآية [المائدة: ٨٢].

* وقال تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ﴾ [التوبة: ٨].

* المجد للعذراء Ave Mary لا عاصفة الصحراء أيها البُله:

«إن الاسم الرمزي لحرب تدمير العراق ليس عاصفة الصحراء، بل المجد للعذراء AveMary ، كانت هذه الترتيلة الكنسية في تحية وتمجيد العذراء مريم هي الصيحة التي أطلقها السفاح شوارتسكوف مع أول صاروخ في حرب الخليج، ولقد كتبوا على صاروخ منها: إن كان محمدهم لا يستجيب لدعائهم فليدعوا المسيح، . . . وفي مخبأ العامرية في بغداد قتل مئات المدنيين، من بينهم أكثر من أربعمائة طفل بصاروخ من صواريخ المجزرة الأطلسية في حرب الخليج»[١] .

□ ولكي لا ننسى فما زال أمام عيني حديث قائد قوات التحالف

---

(١) «إني أرى الملك عاريًا» للدكتور محمد عباس ص(١٥٨).

شوارتزكوف مع مراسل إذاعة الجيش الإسرائيلي في ٢٩/٤/١٩٩١م، وأبرز ما في الحديث هو رائحة التعصب اليهودي التي تفوح من فم هذا المتعصب. فقد اعترف هذا القائد بالتخطيط لتدمير قوات العراق العسكرية، وبالعلاقات الحميمة بين إسرائيل وأمريكا في المجالات الأمنية والعسكرية، وبالعلاقات التي تربط هذا القائد بالقادة العسكريين اليهود، وأخيرًا بأن أمريكا خاضت هذه الحرب من أجل إسرائيل «إن الحرب التي خاضها رجالنا في منطقة الخليج ضد صدّام كانت من أجلكم.. من أجل إسرائيل، وقد عمل الرجال على تحطيم عدوكم»[١].

*** لا وألف لا للقرضاوي ـ غفر الله له ـ:**

◻ يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «القدس قضية كل مسلم» تحت عنوان «حقيقة المعركة بيننا وبين إسرائيل»:

«أودّ أن أبيّن هنا بوضوح: نقطة مهمة، كثيرًا ما يشوبها الغموض أو الالتباس في أذهان كثير من الناس، ولا سيما من المتدينين المسلمين. وكثيرًا ما تستغلها إسرائيل في دعايتها الصهيونية، لكسب الرأي العام ـ وخصوصًا الغربي ـ إلى صفها. هذه النقطة تتعلق بأسباب المعركة بيننا وبين اليهود وحقيقتها، فما هذه الأسباب التي أشعلت نار الحرب بيننا وبين اليهود في فلسطين، قبل أن تقوم إسرائيل في سنة ١٩٤٨م وبعد قيامها إلى اليوم؟»، ثم قال: «هل نعادي إسرائيل لأنها سامية؟» ثم فنّد هذا.

---

(١) «مجلة السنة» ـ العدد السابع عشر ـ ربيع الثاني ١٤١٢ هـ ص(٢٩).

وتحت عنوان: «هل نعادي إسرائيل لأنها يهودية؟» قال:

«وإذا كانت «السامية» ليست واردة في أسباب حربنا وعداوتنا لإسرائيل، فكذلك «اليهودية» باعتبارها ديانة ليست هي السبب. . .

فلو كنا نحارب اليهود من أجل العقيدة، لحاربنا النصارى المسيحيين أيضًا.

ومن أجل هذا يتبيّن لنا خطأ بعض عوام المتدينين الذين يتوهمون أن الحرب القائمة بيننا وبين اليهود حرب من أجل العقيدة، ومعنى هذا: أننا نقاتل اليهود؛ لأنهم يهود كفروا برسالة محمد، وحرّفوا كلام اللَّه عن موضعه، شوّهوا حقيقة الألوهية في كتابهم، فقد شبّهوا الخالق بالمخلوق ولوّثوا صورة الرسل والأنبياء. . إلى آخر ما هو معروف عنهم، ممّا حكاه القرآن من قتلهم الأنبياء بغير حق، وتطاولهم على اللَّه حتى قالوا: يد اللَّه مغلولة، وقالوا: إن اللَّه فقير ونحن أغنياء!

وهذه النظرة التي قد تخطر في بال بعض الناس خاطئة تمامًا، فاليهود كما رأينا يعتبرهم الإسلام أهل كتاب، يبيح مؤاكلتهم، ويبيح مصاهرتهم، وقد عاشوا قرونًا بين ظهراني المسلمين، وقد طردهم العالم، لفظهم لفظ النواة، من أسبانيا وغيرها، ولم يجدوا صدرًا حنونًا إلا في دار الإسلام، وأوطان المسلمين، ولم يفكِّر المسلمون يومًا أن يحاربوا اليهود»[1] .

□ وتحت عنوان «السبب الحقيقي لمعركتنا مع اليهود» قال القرضاوي:

«والواقع أن المعركة بدأت بيننا وبين اليهود، بسبب واحد لا شريك

---

(١) «القدس قضية كل مسلم» للدكتور يوسف القرضاوي ص(٣٨ ـ ٤١) ـ مكتبة وهبة.

له، وهو أنهم اغتصبوا أرضنا ـ أرض الإسلام، أرض فلسطين ـ وشردوا أهلنا، أهل الدار الأصليين، وفرضوا وجودهم الدخيل بالحديد والنار، والعنف والدم. . تكلم السيف فاسكت أيها القلم! وستظل المعركة قائمة بيننا وبينهم ما دامت الأسباب قائمة، وسيظل الصلح مرفوضًا إذا كان مبنيًّا على الاعتراف بأن لهم حقًّا فيما اغتصبوه من الأرض، إذ لا يملك أحد أن يتنازل عن الأرض الإسلامية، إنما يمكن إقامة هدنة بيننا وبين إسرائيل!!، لفترة من الزمن، تقصر أو تطول، يكفّ فيها الطرفان عن الحرب، ويسود فيها لزمن، وتتبادل بعض العلاقات مع بعض!!!»[(١)]، ثم قال تحت عنوان: «الطابع الديني للمعركة»:

«وهذا لا ينفي الطابع الديني عن المعركة، فالمعركة ـ وإن كانت من أجل الأرض لها بواعثها الدينية، وأهدافها الدينية.

فكل معركة يدخلها المسلم للدفاع عن حق، أو لمقاومة باطل، أو لإقامة عدل، أو للثورة على ظلم، فهي معركة دينية، لأنها معركة في سبيل اللَّه. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦].

والإسلام يوجب على المسلمين ـ بالتضامن ـ الدفاع عن أرض الإسلام، ويعتبر ذلك من أقدس أنواع الجهاد، كما يعدّ من قُتل في ذلك شهيدًا من أعظم الشهداء. والجهاد ـ دفاعًا على الأرض ـ فرض عين على أهلها حتى تحرر، وإذا لم يكف أهلها للدفاع عنها، وجب على من يجاورهم، حتى يشمل المسلمين كافة في النهاية، ولا يجيز شرع الإسلام

---

(١) المصدر السابق ص(٤٤ ـ ٤٥).

للمسلمين أن يتنازلوا عن ذراع واحد من أرض الإسلام.

فإذا كانت أرض الإسلام هي أولى القبلتين، وثالث المسجدين المقدسين، كان الجهاد في سبيل تحررها أوجب وأعظم وأشرف، وأعلى مكانًا في دين اللَّه»[1].

* **الرد على القرضاوي:**

الحرب والعداوة بيننا وبين اليهود حرب من أجل العقيدة ومن أجل الأرض، والجهاد في الإسلام جهاد دفع وجهاد طلب:

قول القرضاوي: «وإذا كانت السامية ليست واردة في أسباب حربنا وعداوتنا لإسرائيل، فكذلك اليهودية باعتبارها ديانة ليست هي السبب».

وهذا القول يكفي في الرد عليه ما رددنا به على الشيخ حسن البنا والأستاذ حامد أبو النصر.

❑ قوله: «فلو كنا نحارب اليهود من أجل العقيدة، لحاربنا النصارى المسيحيين أيضًا» وفي هذا القول أكبر دليل على أن الشيخ القرضاوي يرى أن الجهاد في الإسلام جهاد دفع فقط، وليس فيه جهاد طلب.

❑ نحن نعادي اليهود أولاً لكفرهم؛ ولأنهم أشد الناس عداوة للمسلمين؛ ولأنهم قتلة الأنبياء من غضب اللَّه عليهم ولعنهم وهم مخلدون في النار أبدًا، وكذا نعادي النصارى بسبب كفرهم وهم الضالون كما نعتهم بذلك القرآن الكريم ولعنهم اللَّه وهم المخلدون في النار أيضًا.

❑ زيادة على عداوتنا الدينية للطائفتين اليهودية والنصرانية فإنا

---

(١) «القدس قضية كل مسلم» للقرضاوي ص(٤٥ ـ ٤٦).

نعادي اليهود أيضًا؛ لأنهم اغتصبوا أغلى مقدساتنا، وأسالوا الدماء أنهارًا، واغتصبوا نساءنا وهتكوا أعراضنا وذبحوا شيوخنا.

لا تصالح..

ولو توّجوك بتاج الإمارة

كيف تخطو على جثة ابن أبيك

وكيف تصير المليك

على أوجه البهجة المستعارة

كيف تنظر في يد من صافحوك

فلا تبصر الدم في كل كف..

إن سهمًا أتى من الخلف سوف يجيئك من كل خلف..

لا تصالح ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام..

وارْوِ قلبك بالدم..

وارو التراب المقدس وارو أسلافك الراقدين إلى أن تردّ عليك العظام..

إنه ليس ثأرك وحدك لكنه ثأر جيل فجيل

لا تُصالح

ولو وقف ضد سيفك كل الشيوخ.. والرجال التي ملأتها الشروخ..

هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم

وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ

لا تصالح

فليس سوى أن تريد

أنت فارس هذا الزمان الوحيد..

وسِواك المسوخ

❁ ❁ ❁

*** يا بن الإسلام يا بن عقيدتي:**

اياك أن تفاوض.. انزف دمك واكتب به كتابك الدامي عن خيانتنا. أعطه للتاريخ مثلاً. فسوف يوقظ قلوبًا أعطبها العفن.. وسوف يهزّ أرواحًا دنّستها الخطيئة وكللتها الخيانة.

*** ما هكذا يا شيخ قرضاوي تورد الإبل: دعاة الإخوان يسيرون في هذه النقطة على نهج المدرسة العقلية:**

❏ قول الشيخ القرضاوي: «وإذا كانت (السامية) ليست واردة في أسباب حربنا وعداوتنا لإسرائيل، فكذلك «اليهودية» باعتبارها ديانة ليست هي السبب» ا.هـ.

أي اليهودية ليست سبب حربنا وعداوتنا لقد حرّف رواد المدرسة العقلية الحديثة مفهوم بغض الكافرين وعداوتهم وأحلّوا محلها المحبة والصداقة.. وهذا خطأ بيّن سبق البنا وحامد أبو النصر والقرضاوي إليه كثير منهم:

الشيخ محمد عبده:

ذكر محمد عبده في كتابه «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» ثمانية أصول زعم أنها أصول الإسلام ضمنها تحريف هذه العقيدة المهمة (محبة المؤمنين وبغض الكافرين)، ومما يثير العجب والأسى في آن واحد أن هذه الأصول التي ذكرها محمد عبده للإسلام لم يكن من بينها لا أركان الإسلام، ولا أركان الإيمان، وما أدري على أي شيء استند في تسميتها أصولاً، وها هي ذي أصول الإسلام على زعمه التي ذكرها في كتابه:

١ ـ الأصل الأول: النظر العقلي لتحصيل الإسلام، وقال في

التمهيد لهذا الأصل (فلا يصح أن يؤخذ الإيمان باللَّه من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة، فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله اللَّه إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود اللَّه، وبأنه يجوز أن ينزل كتابًا ويرسل رسولاً)[١].

٢ ـ الأصل الثاني: قال عنه: اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا يُنظر إليه[٢] على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل!!

٣ ـ الأصل الثالث: البعد عن التكفير.

٤ ـ الأصل الرابع: الاعتبار بسنن اللَّه في الخلق.

٥ ـ الأصل الخامس: قلب السلطنة الدينية.

٦ ـ الأصل السادس: حماية الدعوة لمنع الفتنة.

٧ ـ الأصل السابع: مودة المخالفين في العقيدة.

٨ ـ الأصل الثامن: الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة[٣].

ألم يقرأ هذا الشيخ حديث الرسول ﷺ الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» **«لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه»**[٤]، فهل يضيق الإنسان على من بينه وبينه مودة. وحديث الرسول ﷺ في خطبة أول جمعة بالمدينة: **«الحمد للَّه أحمده**

---

(١) «الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده ص(٤٨).

(٢) ليعلم القارئ الكريم أن هذا القليل الذي لا ينظر إليه في نظر الشيخ هم الصحابة والتابعون وأئمة المذاهب الأربعة وغيرهم من أعلام الإسلام، وأن هذا الأصل الذي ذكره من أصول الفلاسفة والمعتزلة!!

(٣) انظر هذه الأصول من ص(٤٨ ـ ٧٠) من كتاب «الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده.

(٤) «صحيح مسلم» كتاب السلام (٤/١٧٠٧).

وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا اللَّه... ولا تفرطوا في جنب اللَّه قد علمكم اللَّه كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن اللَّه إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في اللَّه حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة ولا قوة إلا باللَّه..»[١] .

وقد تابع محمد عبده من هم على شاكلته من أهل الدفاع ومودة الكافرين فمن يقرأ مقدمة كتاب «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبي زهرة يجده يصف أقباط مصر بأنهم إخوانه وأبناؤه وأصدقاؤه بل يصفهم بأنهم من المخلصين، ولم يكونوا من الذين ظلموا[٢] ، وقد عدد قواعد العلاقات الدولية في الإسلام فجعلها تدور على مجموعة نقاط هي:

١ ـ المساواة. ٢ ـ التعاون. ٣ ـ الكرامة الإنسانية. ٤ ـ التسامح.
٥ ـ الحرية. ٦ ـ الفضيلة. ٧ ـ العدالة. ٨ ـ المعاملة بالمثل.
٩ ـ الوفاء بالعهد. ١٠ ـ المودة. وقال تحت هذه القاعدة العاشرة (المودة).

«إن الأخوة الإنسانية العامة التي أوجب الإسلام بها التعارف عندما يختلف الناس أجناسًا وقبائل يجب وصلها بالمودة والعمل على الإصلاح ومنع الفساد ولو اختلف الناس دينًا وأرضًا وجنسًا... وإن المودة الموصولة لا يقطعها الحرب ولا الاختلاف في الدين. وفتح باب المودة للشعوب قد ينهي الحرب ويفتح باب السلام العزيز الكريم»[٣] !! ويقول

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٢١٣)، وقال ابن كثير: هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال، ثم أورد ابن كثير خطبة النبي ﷺ عن طريق البيهقي، وقال: هذه الطريق أيضًا مرسلة إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ.

(٢) انظر «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبي زهرة ص(٤).

(٣) «انظر: «العلاقات الدولية» لأبي زهرة ص(٢٦١ ـ ٢٧١).

في كتابه «المجتمع الإنساني في ظل الإسلام»: «تقوم العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس المودة»[١].

▫ والبر والصلة والهدية والضيافة والصدقة لا يلزم منها المحبة ولا المودة فالكافر تبغضه؛ لأن اللَّه يبغضه وتعدل معه وتحسن إليه.

فالعدل في المعاملة وإطعام الطعام والمجادلة بالحسنى شيء والمحبة والمودة والصداقة شيء آخر فالنوع الأول في الموالاة.

أما النوع الثاني: فهو من الموالاة ولا تجوز مودة الكافر ومحبته، ولو كان ذميًّا بل الواجب بغضه؛ لأن اللَّه يبغضه والمؤمن الحق هو الذي يحب ما يحب اللَّه ويبغض ما يبغض اللَّه فها هو ذا عبد اللَّه ابن رواحة - رضي اللَّه عنه - لما أرسله رسول اللَّه ﷺ إلى يهود خيبر - وهم أهل ذمة - لكي يخرص نخيل خيبر فحاولوا رشوته قال لهم: (يا أعداء اللَّه تطعموني السحت واللَّه قد جئتكم من عند أحب الناس إليّ ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السمٰوات والأرض)[٢] فهل جهل عبد اللَّه ابن رواحة - رضي اللَّه عنه - وأرضاه أصلاً من أصول الإسلام وقاعدة من قواعد العلاقات الدولية كما يزعم أصحاب مودة الكافرين.

ولأصحاب مودة الكافرين فهم غريب لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ

---

(١) «المجتمع الإنساني» ص(١٩٠).

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ١٩٧).

اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. فهم كعادتهم لا يأخذون تفسير السلف للآيات والأحاديث إلا إذا وافق ما عندهم يقول أبو زهرة: «ولقد جعل القرآن الكريم اختلاف الناس شعوبًا وقبائل للتعارف والتعاون لا للتباغض والتنازع، ولذلك قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ...﴾ الآية، فاختلاف الشعوب في الأرض له غاية جليلة أرادها اللَّه سبحانه وتعالى، وهي التعارف وهذا التعارف له ظواهر:

الأولى: اللقاء على مودة وتراحم في أمن وسلام لا في حرب وخصام.

الثانية: التعاون على أن ينتفع الإنسان بكل خيرات الأرض بحيث ينتفع أهل كل إقليم بما في الإقليم الآخر من خير ويمده بما عنده من فائض أرضه في مقابل أن ينتفع هو بما عنده، فإذا كانت الأرض مختلفة فيما تنتج فالإنتاج كله للإنسانية كلها فتكون تفرقة الأقاليم ليكون الاستغلال كاملاً فتستغل الأرض في كل أجزائها مهما تتباعد وتتفرق.

الثالثة: من الظواهر تكريم الإنسان في هذه الأرض فلا يوجد تعارف إذا كان إقليم يحتقر إقليمًا؛ لأن ذلك يكون تناكرًا، ولا يكون تعارفًا ولا بد أن يحترم أهل الأرض حرية أهلها فلا يكون إذا لم تحترم الحرية؛ لأنه إذا كان أساس العلاقات الإرهاق النفسي وعدم احترام الحرية الشخصية لا يكون ذلك تعارفًا بل يكون استعبادًا واسترقاقًا أو استعمارًا بلغة ذلك العصر. فأهل كل بلد يدير إدارته بالطريق التي يراها ويعتنقون من العقائد ما شاءوا من غير حريجة دينية ولا إرهاق نفسي بل إن الإسلام ذهب به فرط احترامه للحرية إلى حماية العقيدة الدينية المخالفة من أن يُعتدى عليها، وقاعدته الفقهية «وأمرنا أن نتركهم وما يدينون».. وإن التعارف لا يكون كاملاً إلا إذا أزيلت المحاجزات الإقليمية في الأرضين

بحيث يهاجر كل إنسان إلى ما يحب من الأرض»[١].

فانظر أيها القارئ إلى هذا الفهم الغريب، فقد جعل هذا الكاتب من معاني التعارف: المودة والرحمة وعدم الخصام والتنازع والتكريم والحرية الشخصية والتعاون إلى غير ذلك، ولم يقل أحد من علماء السلف أن الآية تدل على هذه المعاني واللغة لا تساعد الكاتب على ما ذهب إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «وليعلم إن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وأن أعطاك وأحسن إليك؛ فإن اللَّه سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله للَّه فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه»[٢].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «أن اللَّه تعالى عقد الأخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم ونهى عن موالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى ومجوس ومشركين وملحدين ومارقين وغيرهم ممن ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم، وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين، ودلائل هذا من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، فكل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية، فإنه تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك فإنه يجب التقرب إلى اللَّه ببغضه ومعاداته وجهاده

(١) «المجتمع الإنساني» لأبي زهرة ص(٥١ ـ ٥٣)، وانظر كتاب «أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية» للدكتور علي بن نفيع العلياني ص(٣٥٠ ـ ٣٥٧) ـ دار طيبة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٠٨).

باللسان واليد بحسب القدرة، فالولاء والبراء تابع للحب والبغض، والحب والبغض هو الأصل وأصل الإيمان أن تحب في اللَّه أنبياءه وأتباعهم وأن تبغض في اللَّه أعداءه وأعداء رسله»[1] .

قال القرطبي - رحمه اللَّه - في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾: نهى اللَّه عباده المؤمنين أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء والبدع أصحابًا وأصدقاء يفاوضونهم في الرأي ويسندون إليهم أمورهم».

*** يا شيخ يوسف القرضاوي: الجهاد في الإسلام ليس جهاد دفع فقط بل هو جهاد دفع وطلب:**

قول الشيخ القرضاوي قول مرفوض إذ إنه يقصر الجهاد في فلسطين على أنه دفاع عن الأرض فقط وقوله متخبط وإلا:

* ما معنى قوله: «وستظل المعركة قائمة بيننا وبينهم - أي اليهود - ما دامت الأسباب قائمة، وسيظل الصلح مرفوضًا إذا كان مبنيًّا على الاعتراف بأن لهم حقًّا فيما اغتصبوه من الأرض - إذ لا يملك أحد أن يتنازل عن الأرض الإسلامية»، ثم يأتي بنقيض ذلك: «إنما يمكن إقامة هدنة بيننا وبين إسرائيل، لفترة من الزمن، تقصر أو تطول، يكف فيها الطرفان عن الحرب، ويسود فيها الأمن، وتتبادل بعض العلاقات مع بعض»!!! ما هذا الكلام العجيب الغريب المتناقض؟!!

* وما معنى قوله: «فلو كنا نحارب اليهود من أجل العقيدة لحاربنا

---

(١) «الفتاوى السعدية» للسعدي ص(٩٨).

النصارى المسيحيين أيضًا»[(١)] .

وهذا الكلام يعني أنه يقول أنه ليس في الإسلام إلا جهاد الدفع فقط. . ولا مرية في ذلك.

أما عدم حرب المسلمين للنصارى ـ أي جهاد الطلب ـ الآن فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي اللَّه ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين. وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»[(٢)] .

*** لآلئ للأستاذ سيد قطب أحلى من الشهد وأرق من نسيم السحر :**

▫ يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «فإن كان المسلمون اليوم لا يملكون بواقعهم تحقيق هذه الأحكام فهم ـ اللحظة ومؤقتًا ـ غير مكلفين بتحقيقها ـ ولا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها ولهم في الأحكام المرحلية سعة يتدرجون معها حتى ينتهوا إلى تنفيذ هذه الأحكام الأخيرة عندما يكونون في الحال التي يستطيعون معها تنفيذها. . ولكن عليهم ألا يلووا أعناق النصوص النهائية لتوافق أحكام النصوص المرحلية وعليهم ألا يحملوا ضعفهم الحاضر على دين اللَّه القوي المتين وعليهم أن يتقوا اللَّه في مسخ هذا الدين وإصابته بالهزال بحجة أنه دين السلم والسلام. إنه دين السلم والسلام فعلاً ولكن على أساس إنقاذ البشرية كلها من عبادة غير اللَّه وإدخال

---

(١) «القدس قضية كل مسلم» ص(٤١).

(٢) «الصارم المسلول» لابن تيمية ص(٢٢١).

البشرية كافة في السلم كافة.

إنه منهج الله هذا الذي يريد البشر على الارتفاع إليه والاستمتاع بخيره وليس منهج عبد من العبيد ولا مذهب مفكر من البشر حتى يخجل الداعون إليه من إعلان أن هدفهم الأخير هو تحطيم كل القوى التي تقف في سبيله لأطلاق الحرية للناس أفرادًا في اختياره.. إنه حين تكون المذاهب التي يتبعها الناس مذاهب بشرية من صنع العبيد، وحين تكون الأنظمة والشرائع التي تصرف حياتهم من وضع العبيد أيضًا فإنه في هذه الحالة يصبح لكل مذهب ولكل نظام الحق في أن يعيش داخل حدوده آمنًا ما دام أنه لا يعتدي على حدود الآخرين، ويصبح من حق هذه المذاهب والأنظمة والأوضاع المختلفة أن تتعايش وألا يحاول أحدها إزالة الآخر. فأما حين يكون هناك منهج إلهي وشريعة ربانية ووضع العبودية فيه للَّه وحده وتكون إلى جانبه مناهج ومذاهب وأوضاع من صنع البشر العبودية فيها للعباد، فإن الأمر يختلف من أساسه ويصبح من حق المنهج الإلهي أن يجتاز الحواجز البشرية ويحرر البشر من العبودية للعباد ويتركهم أحرارًا في اختيار العقيدة التي يختارونها في ظل الدينونة للَّه وحده.

والمهزومون الذين يحاولون أن يلووا أعناق النصوص ليخرجوا من الحرج الذي يتوهمونه في انطلاق الإسلام وراء حدوده الأولى ليحرر البشر في الأرض كلها من العبودية لغير اللَّه ينْسون هذه الحقيقة الكبرى، وهي أن هناك منهجًا ربانيًّا العبودية فيه للَّه وحده يواجه مناهج بشرية العبودية فيها للعبيد»[1].

---

(١) «فقه الدعوة» لسيد قطب اختيار أحمد حسن ص(٢١٧ - ٢٢٢).

*** يا شيخ يوسف القرضاوي: قصر الجهاد في الإسلام على جهاد الدفع فقط بدعة شنيعة، فالجهاد جهاد دفع وطلب:**

قصر الجهاد في الإسلام على جهاد الدفع فقط بدعة منكرة تخالف الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وإجماع سلف الأمة، وهذه البدعة هي أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط وأن المسلمين لا يجوز لهم أن يغزوا الكفار لأجل إخضاعهم لسلطان الإسلام وإعلاء كلمة اللَّه على كلمتهم إلا إذا سبق الكفار بالاعتداء على المسلمين.

«هذه البدعة المنكرة لم يقلها أحد من علماء المسلمين المعتبرين، وأول من ظهرت على ما أعلم على أيدي تلاميذ المدرسة العقلية الحديثة التي من أشهر رجالها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا. وتلاميذ هذه المدرسة أعجبوا بما عند الغرب من مفاهيم في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية فبذلوا قصارى جهودهم ليوضحوا للناس أن هذه المفاهيم موجود مثلها وأفضل منها في الإسلام. ولقد كان أعداء الإسلام من مبشرين ومستشرقين يحملون على الإسلام حملة شعواء قوامها أن الإسلام انتشر بالسيف بينما انتشرت المسيحية بالمحبة والسلام، فأراد هؤلاء أن ينفوا التهمة عن الإسلام، فقالوا: إن الإسلام لا يستخدم السيف إلا للدفاع فحسب وقد غاب عن أذهانهم الفرق بين أهداف الجهاد في الإسلام وأهداف الحروب الأخرى التي يعرفها الناس في جاهلياتهم والتي عرفتها أوربا في تاريخها كله»(١).

□ يقول محمد عبده عن الجهاد الإسلامي: «فقتال النبي ﷺ كله

(١) «أهمية الجهاد» لعلي بن نفيع ص(٣١٨ ـ ٣١٩).

كان مدافعة عن الحق وأهله وحماية لدعوة الحق؛ ولذلك كان تقديم الدعوة شرط لجواز القتال، وإنما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان، فإذا مُنعنا من الدعوة بالقوة بأن هُدد الداعي أو قُتل فعلينا أن نقاتل لحماية الدعاة ونشر الدعوة لا للإكراه على الدين فاللَّه يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، ويقول: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وإذا لم يوجد من يمنع الدعوة ويؤذي الدعاة أو يقتلهم أو يهدد الأمن ويعتدي على المؤمنين فاللَّه تعالى لا يفرض علينا القتال لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح ولا لأجل الطمع في الكسب، ولقد كانت حروب الصحابة في الصدر الأول لأجل حماية الدعوة ومنع المسلمين من تغلب الظالمين لا لأجل العدوان، فالروم كانوا يعتدون على حدود البلاد العربية التي دخلت حوزة الإسلام، ويؤذونهم وأولياؤهم من العرب المتنصرة ومن يظفرون به من المسلمين.

وكان الفرس أشد إيذاء للمؤمنين منهم فقد مزقوا كتاب النبي ﷺ ورفضوا دعوته وهددوا رسوله، وكذلك كانوا يفعلون وما كان بعد ذلك من الفتوحات الإسلامية اقتضته طبيعة الملك، ولم يكن كله موافقًا لأحكام الدين، فإن من طبيعة الكون أن يبسط القوي يده على جاره الضعيف، ولم تعرف أمة قوية أرحم في فتوحاتها بالضعفاء من الأمة العربية شهد لها علماء الإفرنج بذلك، وجملة القول في القتال أنه شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها، فعلى من يدعي من الملوك والأمراء أنه يحارب للدين أن يحيي الدعوة الإسلامية ويعد لها عدتها من العلم والحجة بحسب حال العصر وعلومه، ويؤيد ذلك بالاستعداد التام لحمايتها من العدوان، ومن عرف حال الدعاة إلى الدين

عند الأمم الحية، وطرق الاستعداد لحمايتهم يعرف ما يجب في ذلك وما ينبغي له في هذا العصر»[١]، ويقول محمد رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ هذه غاية للأمر بقتال أهل الكتاب ينتهي بها إذا كان الغلب لنا. أي قاتلوا من ذكر عند وجود ما يقتضي وجوب القتال كالاعتداء عليكم أو على بلادكم أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم»[٢] فهذا تصريح واضح من رواد المدرسة العقلية الحديثة بأن الجهاد في الإسلام هو للدفاع فقط، مما يبين بوضوح لا خفاء فيه أن المدرسة العقلية الحديثة هي التي حملت لواء الانهزامية وتذويب الشخصية الإسلامية في الشخصية الغربية وتفسير النصوص بأهوائهم معرضين عن تفسير علماء الإسلام لها.

*** من قال بهذه البدعة غير المدرسة العقلية وغير الدكتور القرضاوي ومن ردّ عليهم من أهل العلم:**

«وقد تأثر بهذه البدعة المنكرة - قصر الجهاد على الدفاع - كثير من الكتاب المعاصرين كعبد الوهاب خلاف في كتابه «السياسة الشرعية»، ومحمود شلتوت في كتابه «من هدي القرآن»، ومحمد أبو زهرة في كتابه «العلاقات الدولية»، ومحمد عبد اللّٰه دراز في كتابه «دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية»، ووهبة الزحيلي في كتابه «العلاقات الدولية في الإسلام»، ومحمد عزة دروزة في كتابه «الجهاد في سبيل اللّٰه في القرآن والحديث»، وحامد سلطان في كتابه «أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية» وعلي علي منصور في كتابه «الشريعة

---

(١) «تفسير المنار» (٢/ ٢١٥ - ٢١٨).
(٢) «تفسير المنار» (١٠/ ٢٨٩).

الإسلامية والقانون الدولي»، وجمال البنا في كتابه «حرية الاعتقاد في الإسلام»، وعبد الخالق النواوي في كتابه «العلاقات الدولية والنظم القضائية»، ومحمد رأفت عثمان في كتابه «الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية»، وأحمد محمد الحوفي في كتابه «سماحة الإسلام»، وغير هؤلاء كثير من الكتاب وأصحاب الرسائل العلمية بل هو تيار جارف عند كُتاب هذا العصر يكاد يطغى على الحق ويغطيه لولا حفظ اللَّه للحق بحفظ أصوله ـ الكتاب والسنة ـ ثم لولا وجود كتب فقهاء الإسلام وعلمائه الذين ماتوا قبل إطلالة هذا العصر المشؤوم الذي تُوَجَّه فيه معارف المسلمين وعلومهم بأيدي أعدائهم. وقد تصدى لهذه البدعة جمع من علماء المسلمين وبعض طلبة العلم فأنكروها على أصحابها ومن أشهر هؤلاء العالم الجليل سليمان بن سحمان والشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان في كتابه القيم «دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع»، والشيخ عبد الرحمن الدوسري في كتابه «الأجوبة المفيدة في مهمات العقيدة» والشيخ أبو الأعلى المودودي في كتابه «الجهاد» والشهيد سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق» وفي تفسيره الشهير في «ظلال القرآن»، والشيخ محمد قطب في كتابه «المستشرقون والإسلام» (مخطوط) والدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه «مجموعة بحوث فقهية» والأستاذ صالح اللحيدان في كتابه «الجهاد بين الطلب والدفاع»، والأستاذ محمد بن ناصر البعوان في كتابه «القتال في الإسلام»، والأستاذ عبد اللَّه بن أحمد قادري في كتابه «حقيقة الجهاد في سبيل اللَّه وغايته» (مخطوطة)، والأستاذ عابد بن محمد السفياني في كتابه «دار الإسلام ودار الكفر وأصل العلاقة بينهما» (مخطوطة)»[1].

---

(١) «أهمية الجهاد» ص(٣٢٥ ـ ٣٢٦).

* إجماع أهل العلم على جهاد الطلب :

❑ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله للَّه وأن تكون كلمة اللَّه هي العليا فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين»[١] .

فانظر كيف نقل اتفاق المسلمين على قتال من يمنع أن يكون الدين كله للَّه، وأن تكون كلمة اللَّه هي العليا، وابن تيمية من أكثر العلماء معرفة بمذاهب فقهاء الأمة الإسلامية، فهل يظن ظان أنه يعلم خلافًا لأحد من المسلمين في هذه الغاية العظيمة للجهاد ويكتمه؟ اللَّهم لا .

❑ وهذا إمام المفسرين في عصره ابن جرير الطبري ينقل إجماعًا مشابهًا لما نقله ابن تيمية إذ يقول: «وأجمعوا أن موادعة أهل الشرك من عبدة الأوثان ومصالحة أهل الكتاب على أن أحكام المسلمين عليهم غير جائزة إلى الأبد باطلة إذا كان بالمسلمين قوة على حربهم»[٢] فليت شعري ما موقف أصحاب الدفاع والتعايش السلمي من هذا الإجماع؟! .

❑ ويقول الإمام الشوكاني في «السيل الجرار»: «غزو الكفار ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام أو تسليم الجزية أو القتل معلوم من الضرورة الدينية، ولأجله بعث اللَّه تعالى رسله وأنزل كتبه وما زال رسول اللَّه ﷺ منذ بعثه اللَّه إلى أن قبضه إليه جاعلاً هذا الأمر من أعظم مقاصده ومن أهم شؤونه، وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها المقام ولا لبعضها، وما ورد في موادعتهم أو في تركهم إذا

---

(١) «السياسة الشرعية» لابن تيمية ص(٣١).

(٢) «اختلاف الفقهاء» للطبري ص(١٤).

تركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين بما ورد من إيجاب المقاتلة لهم على كل حال مع ظهور القدرة عليهم والتمكن من حربهم وقصدهم إلى ديارهم»[١] .

*** ولأصحاب هذه البدعة المنكرة نقول:**

«إن علماء الإسلام تكلموا على حكم قتال الكفار قبل أن تبلغهم الدعوة إلى الإسلام كما هو مبسوط في كتب التفسير والأحاديث والفقه فلو كان لا يقاتل إلا المعتدي فما فائدة هذا البحث في هذا الباب! هل يتصور أن يعتدي الكفار على المسلمين وهم لا يعرفون من المسلمون؟ وإلى ماذا يدعون؟»[٢] .

*** لقد مرّ الجهاد في تشريعه بمراحل:**

□ **المرحلة الأولى:** مرحلة الكفّ عن المشركين والإعراض عنهم والصبر على أذاهم.

□ **المرحلة الثانية:** إباحة القتال من غير فرض:

* قال تعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ [الحج: ٣٩].

□ **المرحلة الثالثة:** فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط:

* قال تعالى: ﴿ ... **فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (٩٠) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ**

---

(١) «العبرة» للقنوجي.

(٢) «أهمية الجهاد» ص(٣٣٦).

﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٩٠ ـ ٩١].

المرحلة الرابعة: قتال جميع الكفار على اختلاف أديانهم وأجناسهم ابتداءً وإن لم يبدءوا بقتال حتى يُسْلموا أو يدفعوا الجزية:

وهذه المرحلة بدأت من انقضاء أربعة أشهر من بعد حج العام التاسع من الهجرة، ومن بعض انقضاء العهود المؤقتة وتُوفي الرسول ﷺ والعمل على هذه المرحلة الأخيرة وعليها استقر حكم الجهاد.

* قال تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

* وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

● قال ﷺ: «**أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللَّه**»[١].

● وقال ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه،**

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر، والنسائي عن أبي بكرة، ابن ماجه والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة.

وأني رسول اللَّه، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللَّه»[١] .

وهذه المراحل قد ذكرها علماء الإسلام في مؤلفاتهم من كل مذهب: ذكرها السرخسي في «المبسوط» (١٠/٢)، والشافعي في «أحكام القرآن» (٢/ ٩ ـ ١٩)، وابن رشد في «مقدماته» (١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢).

❑ قال ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «فلما فتح اللَّه مكة وانقطع قتال قريش ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره اللَّه تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة»[٢] .

❑ وقال ابن القيم: «ثم فُرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرمًا، ثم مأذونًا به، ثم مأمورًا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورًا به لجميع المشركين إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور»[٣] .

«وقد استقر أمر الجهاد على المرحلة الأخيرة التي ذُكِرت في سورة التوبة، وهي قتال المشركين حتى يسلموا، وقتال أهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية مع الذل والصغار»[٤] .

❑ قال ابن القيم: «فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول «براءة» على

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة، وهو متواتر، وقد أخرجه ابن نصر المروزي في أول كتابه «الصلاة» من حديث ابن عمر، وأنس، وأبي هريرة، ومعاذ بن جبل.

(٢) «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» لابن تيمية (١/ ٧٤).

(٣) «زاد المعاد» لابن القيم (٣/ ٦٩ ـ ٧١).

(٤) «أهمية الجهاد» ص(١٤٧).

ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة»[١].

ولكون سورة «براءة» المقررة لحكم المرحلة الأخيرة من مراحل الجهاد هي آخر السور نزولاً اعتبر علماء السلف أن المرحلة الأخيرة للجهاد ناسخة لبقية المراحل.

قال ابن العربي: «قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ..﴾ الآية ناسخة لمائة وأربع عشر آية»[٢].

* والقول بالنسخ مروي عن:

ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة[٣]، ومجاهد وأبي العالية[٤]، والضحاك بن مزاحم[٥]، والربيع بن أنس[٦]، والحسين بن الفضل[٧]، وابن زيد[٨]، وموسى بن عقبة[٩]، وعطاء[١٠]، وابن الجوزي[١١].

وكذلك قال بالنسخ: ابن تيمية[١٢]، والشوكاني[١٣]، والقرطبي[١٤] وجمع من العلماء في شتى العصور الإسلامية.

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٦٠).
(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ١٠٢).
(٣) «فتح القدير» للشوكاني (١/ ٤٩٧).
(٤) «فتح القدير» (١/ ١٩١).
(٥) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥).
(٦) «تفسير البغوي» (١/ ١٦٨).
(٧) «تفسير القرطبي» (٨/ ٧٣).
(٨) «القرطبي» (٢/ ٣٣٩).
(٩) «أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ٨١) ـ دار الكتاب العربي بيروت.
(١٠) «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٢).
(١١) «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٣٧٦) ـ المكتب الإسلامي.
(١٢) «الاحتجاج بالقدر» لابن تيمية ص(٣٦).
(١٣) «فتح القدير» (١/ ٢٧٥).
(١٤) «تفسير القرطبي» (٢/ ٣٣١).

☐ يقول صديق حسن خان البخاري: «وما جاء في موادعتهم أو في تركهم إذا تَركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين»[١].

* هدف الجهاد الأكبر تعبيد الناس للَّه وحده وإخراجهم من العبودية للعباد:

* قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

* ويقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

☐ قال ابن كثير: «ثم أمر تعالى بقتال الكفار ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك. قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي: يكون دين اللَّه هو الظاهر على سائر الأديان»[٢].

☐ وقال ابن الجوزي: «﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس: أي: يخلص له التوحيد»[٣].

☐ قال ابن جرير الطبري: «فقاتلوهم حتى لا يكون شركٌ ولا يُعبد إلا اللَّه وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد اللَّه من الأرض وهو الفتنة، ويكون الدين كله للَّه، وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها للَّه

---

(١) «الروضة الندية» لصديق حسن خان (٢/ ٣٣٣) ـ دار المعرفة بيروت.
(٢) «ابن كثير» (١/ ٣٢٩).
(٣) «زاد المسير» (١/ ٢٠٠).

خالصة دون غيره»[١] .

وقال الشوكاني: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون فتنة وأن يكون الدين للَّه وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحلّ قتاله»[٢] .

● عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«بُعثت بين يدي الساعة بالسيف؛ حتى يُعبد اللَّه تعالى وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعِل الذُّلُّ والصغارُ على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم»**[٣] .

ولقد كان هذا الهدف العظيم للجهاد حاضرًا في حسّ الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ أثناء معاركهم مع أعداء اللَّه.

ففي «صحيح البخاري» عن جبير بن حيّة قال: «فندبنا عمر واستعل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفًا فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم فقال المغيرة: سل عمّا شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد نمصّ الجلد والنّوى من الجوع ونلبس

---

(١) «تفسير الطبري» (١٣/ ٥٣٧).

(٢) «فتح القدير» (١/ ١٩١).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، وصححه السيوطي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٤٩): رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه ابن المديني وغيره وضعّفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات.
وصححه الألباني في «حجاب المرأة» (١٠٤)، و«الإرواء» (١٢٥٦).

الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيًّا من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا أنا نقاتلكم حتى تعبدوا اللَّه وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قُتِل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثله قط ومن بقي منا ملك رقابكم»[١].

❏ وقال ربعي بن عامر لرستم: «إن اللَّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللَّه، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نقضي إلى موعود اللَّه. قالوا: وما موعود اللَّه؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي».

❏ قال الشافعي: «فدل كتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ أن فرض الجهاد إنما هو على أن يقوم به من فيه كفاية للقيام به حتى يجتمع أمران: **أحدهما**: أن يكون بإزاء العدو المخوف على المسلمين من يمنعه.

والآخر: أن يجاهد من المسلمين مَن في جهاده كفاية حتى يسلم أهل الأوثان أو يعطي أهل الكتاب الجزية»[٢].

❏ ويقول محمد بن الحسن الشيباني: «فرضية القتال المقصود منها إعزاز الدين وقهر المشركين»[٣].

---

(١) «صحيح البخاري مع الفتح» (٦/ ١٩٠).

(٢) «الأم» للشافعي (٤/ ١٦٧).

(٣) «السير الكبير» للشيباني (١/ ١٨٨).

□ ويقول ابن عبد البر المالكي: «يقاتل جميع أهل الكفر من أهل الكتاب وغيرهم من القبط والترك والحبشة والفزارية والصقالبة والبربر والمجوس وسائر الكفار من العرب والعجم يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون»[١].

□ ويقول ابن القيم: «والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة اللَّه هي العليا ويكون الدين كله للَّه.. فإن من كون الدين كله للَّه إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهله والرق على رقابهم فهذا من دين اللَّه، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة»[٢].

□ والجهاد مستمر إلى قيام الساعة ولا ينتهي جهاد الكفار إلا إذا أسلموا أو خضعوا لحكم الإسلام، ودفعوا الجزية حالة كونهم متلبسين بالذل والصغار، وأجمع المسلمون على أن اليهود والنصارى من غير العرب إذا دفعوا الجزية وجب الكفّ عن قتالهم، أما غيرهم فأشهر المذاهب في ذلك أربعة:

الأول: وهو قول الشافعي والمشهور من مذهب الإمام أحمد ومذهب أبي ثور والثوري أنه لا يُقبل من أهل الشرك إلا الإسلام أو السيف.

الثاني: وهو قول أبي حنيفة ورواية عن الإمام أحمد وابن القاسم وأشهب وسحنون أن الجزية لا تؤخذ من العرب وتُؤخذ ممن عداهم من الكفار عمومًا.

---

(١) «الكافي في فقه أهل المدينة» لابن عبد البر ص(٤٦٦).

(٢) «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ١٨).

الثالث: وهو رواية عن الإمام مالك وادعى ابن جهم الإجماع أن الجزية لا تُقبل من قريش فقط وتُقبل من سائر الكفار.

الرابع: أنَ الجزية تُقبل من كل كافر على وجه الأرض أيًّا كان دينه. وهذا مروي عن الإمام مالك والأوزاعي وابن القيم، وإليه مال كثير من المعاصرين[١].

◻ قال الدكتور علي بن نفيع العلياني:

«والذي يظهر لي واللَّه تعالى أعلم بالصواب أن القول الراجح هو قول الشافعي والمشهور عن الإمام أحمد، وهو أن أهل الشرك لا يُقبل منهم إلا الإسلام أو السيف أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواءً أكانوا عربًا أم غير عرب فتُقبل منهم الجزية وكذلك المجوس وإن كانوا مشركين للأدلة المخصصة لهم من سائر المشركين»[٢].

◻ جاء في كتاب «تنوير الأبصار». . وهو من أشهر كتب الأحناف ـ ما يلي (وهو ـ أي الجهاد ـ فرض كفاية ابتداء) وفرض عين إن هجم العدو»[٣].

◻ وجاء في كتاب «تبين الحقائق شرح كنز الدقائق» وهو من مراجع فقه الأحناف ـ ما يلي: «الجهاد فرض كفاية ابتداء يعني يجب علينا أن

---

(١) «أهمية الجهاد» ص(١٨٦ ـ ١٨٧)، وانظر هذه المذاهب وأدلة أصحابها في «تفسير القرطبي» (٨/ ١١٠)، و«أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ٣٨٩)، و«اختلاف الفقهاء» للطبري ص(٢٠٠)، و«المغني» لابن قدامة (٨/ ٣٦٢).

(٢) «أهمية الجهاد» ص(١٨٨).

(٣) «حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة» لابن عابدين (٤/ ١٢٣).

نبدأهم بالقتال وإن لم يقاتلونا لقوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً** ﴾ و﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾، وقال: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا** ﴾ الآية.

• وقوله ﷺ: «**الجهاد فرض ماض منذ بعثني اللَّه إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل**»[١].

• وقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللَّه..**» الحديث وعليه إجماع الأمة»[٢].

وجاء في شرح «فتح القدير» ـ وهو من أمهات كتب الأحناف ـ ما يلي: «وقتال الكفار واجب وإن لم يبدءوا للعمومات»[٣] أي: عموم النصوص الشرعية، ويقول السرخسي: «فأما بيان المعاملة مع المشركين فنقول: الواجب دعاؤهم إلى الدين وقتال الممتنعين منهم من الإجابة؛ لأن صفة هذه الأمة في الكتب المنزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبها كانوا خير الأمم، قال اللَّه تعالى: ﴿ **كنتم خير أمة** ﴾.. الآية، ورأس الأمر بالمعروف الإيمان باللَّه فعلى كل مؤمن أن يكون آمرًا به داعيًا إليه، وأصل المنكر الشرك، فهو أعظم ما يكون من الجهل والعناد؛ لما فيه من إنكار الحق من غير تأويل، فعلى كل مؤمن أن ينهى عنه بما يقدر عليه»[٤].

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب الغزو مع أئمة الجور برقم (٢٥٣٢).

(٢) «تبيين الحقائق» (٣/ ٢٤١).

(٣) «فتح القدير» لابن الهمام (٥/ ٤٤١).

(٤) «المبسوط» للسرخسي (٢/ ١٠).

*** لا للوحدة مع العلمانيين والالتقاء مع اليساريين لا بد أن تسير خطواتنا كلها وفق منهج اللَّه: ولاءً وتعاونًا وشعارًا وفكرًا وممارسة:**

«تجربة عبد اللَّه عزام مع منظمة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية»

* قال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال ابن كثير: «أي بالتكذيب والاستهزاء فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره غير ما كانوا فيه من التكذيب.. والمراد بذلك كل فرد من آحاد الأمة: أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات اللَّه ويضعونها على غير موضعها»(١).

لا بد من المفاصلة بين المؤمنين والمشركين:

* قال تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾ [النساء: ١٤٠].

لا بد أن تتجرد الأنفس المجاهدة للَّه، وتتحرر من ضغط الأوضاع والضرورات والمصالح.

إن الحمية للَّه، ولدين اللَّه، ولآيات اللَّه.. هي آية الإيمان، وما تفتر هذه الحمية إلا وينهار بعدها كل سد، وينزاح بعدها كل حاجز، وينجرف الحطام الواهي عند دفعة التيار.. وإن الحمية لتكبت في أول

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٧٧).

الأمر عمدًا، ثم تهمد، ثم تخمد، ثم تموت.

فمن سمع بالاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدفع، وإما أن يقاطع المجلس وأهله. فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة. وهو المعبر بين الإيمان والكفر.

ما أحوج العصبة المؤمنة بعد أن تستيقن مهمتها في الأرض، وبعد أن تستوضح حقيقة العقيدة التي تدعو إليها ومقتضياتها من إفراد اللَّه سبحانه بالولاء بكل مدلولاته، وبعد أن تستصحب معها في مهمتها الشاقة تلك الحقائق والمشاعر.. ما أحوجها بعد ذلك كله إلى القطع والمفاصلة والتبرؤ.

لن يتحقق وعد اللَّه بالنصر والتمكين في الأرض بالالتقاء مع العلمانيين واليساريين مثلما حدث في تجربة عبد اللَّه عزام والإسلاميين عند انضمامهم لمنظمة فتح وهم يعلمون كيف نشأت وعلى يد من نشأت وبالرغم من هذا تساهلوا وانضموا وسمعوا وأطاعوا. ثم تمخّض الجبل فولد فأرًا.

❑ يقول الدكتور عدنان النحوي في كتابه «عبد اللَّه عزّام.. أحداث ومواقف»: «مع سنة ١٩٦٦م قامت جهود مكثفة لدراسة دور الحركة الإسلامية وموقفها من قضية فلسطين، ومن الأحداث الهائجة، ومن العمل الفدائي الدائر. كان هنالك ثلاثة آراء أو ثلاثة مواقف:

* **فريق يرى التعاون مع منظمة التحرير**: دون أن يقدِّم أسبابًا مقنعة لوجهة نظره هذه.

* **وفريق يرى ضرورة قيام العمل الإسلامي المتميز**: ليقدّم للناس

الصورة التطبيقية الصادقة لمعنى الجهاد في سبيل اللَّه شعارًا وفكرًا ومنهجًا وممارسة.

* وفريق ثالث وافق هؤلاء، ووافق هؤلاء، على بسمة هنا وبسمة هناك.. وفي مرحلة الحوار كان القرار عدم التعاون، وفي مرحلة أخرى تغيّر القرار إلى صورة أُخرى.

كان من أهم ما طرحه الفريق الثاني الذي كان ينادي بالجهاد في سبيل اللَّه، هو أن كل منظمة في داخل منظمة التحرير مرتبطة بصورة أو بأخرى باتجاه محدد وسياسة ملزمة ونهج خاص ـ وأن هذه المنظمات على هذا النحو التقت في إطار قومي إقليمي يصهر الجميع في بوتقته، على صورة لم تكن تسمح للنهج الإيماني المتميز أن يفرض وجوده وخطّه، مما يُفْقِد العمل قدرًا غير قليل من استقلاله الحقيقي...

❑ يضاف إلى ذلك أن منظمة التحرير قامت لتحقيق أهداف محددة أعلن عنها جمال عبد الناصر في تصريحه الذي نشرته مجلة ريالتي الفرنسية في عددها لشهر إبريل سنة ١٩٦٥م حيث قال: «نعم على الفلسطينيين أن يقوموا ابتداءً من الآن بتحقيق رغباتهم وجميع البلدان العربية مؤيدة إلى أقصى حد ما ستقوم به هذه المنظمة التي لها جيش تتولى تدريبه وتجهيزه الدول العربية. وعندما تستكمل المنظمة استعداداتها سوف تشرع في العمل من أجل تطبيق مقررات الأمم المتحدة بفلسطين وبحقوق العرب في فلسطين» إذن مهمة منظمة التحرير محددة منذ البداية، منذ سنة ١٩٦٥م: «من أجل تطبيق مقررات الأمم المتحدة بفلسطين».. فكيف ينسجم هذا مع الشعارات المطروحة والمواثيق المكتوبة ويتناقض مع شعار إزالة دولة اليهود وعدم الاعتراف بكيانهم، فإلى أين

إذن تسير القافلة؟! وعلى من يقع اللوم والعتاب غدًا إذا انجلت الأمور عن مأساة؟!}.

وهل المسلمون يؤيدون هذا الاتجاه؟ وهو اتجاه معلن غير مخفيّ، فإن غاب تصريح عبد الناصر عن مسامع بعض الناس، فقد وضع بعض رجال فتح والمنظمة كتبًا تفصّل ذلك. فكتاب «فلسطيني بلا هوية» لصلاح خلف، وخطاب ياسر عرفات في هيئة الأمم يطالب فيه بالدولة العلمانية في فلسطين، وكثير غير ذلك يكشف حقيقة الدور»[1].

□ يقول الدكتور عدنان النحوي:

«وفي إحدى جولات الحوار انتهى الموقف بصورة سريعة إلى التعاون مع منظمة التحرير، واستمرت العلاقة والاتصالات التي كانت تظهر وتغيب، والتي كان من ثمرتها قيام القواعد التي تسمّى اليوم «قواعد الشيوخ» شمال الأغوار في منطقة إربد وكانت هذه القواعد لا تزيد عن أربع، وربما كانت أقل. وكانت تابعة كلها لقوات العاصفة وتحت إشرافها، على أن تُعطى القاعدة حق الأذان والصلاة. ولعلها كانت القواعد الوحيدة التي يقوم فيها الأذان في أوقاته، وتُقام صلاة الجماعة في أوقاتها. واشترك الشيخ عبد اللَّه عزام في إحداها، معلمًا وداعية إلى اللَّه ورسوله ومجاهدًا في سبيل اللَّه. ولعله رضي بذلك متوقعًا أن تكون هذه القواعد منطلقًا لبناء قواعد أخرى، يدوِّي فيها الأذان وتُقام فيها الصلاة وتقودها راية الإيمان والتوحيد. ولكن الظن لم يتحقق»[2].

□ ثم قال النحوي: «هكذا أظن أنه ـ أي عزام ـ كان يأمل أو

---

(١) «عبد اللَّه عزام أحداث ومواقف» للنحوي ص(٢٩ ـ ٣١).

(٢) «عبد اللَّه عزام» للنحوي ص(٣٣ ـ ٣٤).

يتمنّى، وإلا فكيف قبل راية أخرى لتظلل قواعد الإيمان. لقد كانت تجربة حقيقية استفاد منها كثيراً في مقبل حياته ولكن هل أفادت التجربة الجميع؟! إن كثيراً من التجارب تضيع من حياة المسلمين! ولقد ألمح إلى هذه التجربة بمرارة في كتابه «حماس» دون أن يفصل في التحليل كانت القاعدة تابعة رسميًّا إلى فتح، إلى قوات العاصفة. وربما لم يتساءل الكثيرون في غمرة الفرحة لماذا تكون هذه القاعدة هي القاعدة الوحيدة.

وإذا كان الجميع يتغنّى بالإسلام في المناسبات والندوات فلماذا لا تكون القواعد كلها تحترم الإسلام وتنفِّذ نهجه على تكامله وتناسقه؟! وما هو معنى هذا الود والصحبة على مناهج متضاربة؟! وهل تستمر الحالة على هذا المنوال؟»[١].

❑ قال النحوي: «رأى عبد اللَّه عزّام أن الواقع يدفع القتال إلى دروب عدة ومسالك شتى. وأن الإيمان والتوحيد ليسا هما اللذيْنِ يقودان حقيقة الميادين هنا وهناك، وأن النهج الإسلامي لم يستطع أن يمسك بزمام الأمور.. وأن البوتقة الوطنية الإقليمية ما زالت هي التي تصهر العاملين كلهم، ولم يستطع التيار الإسلامي أن يقدم حقيقة الفكر والنهج، سواءً في الميدان العسكري أو السياسي، في قضية فلسطين حتى يجذب القلوب والسواعد إلى النهج المتميّز، النهج الموعود بالنصر»[٢].

❑ يقول الدكتور النحوي عن انضمام عدد من شباب الحركة الإسلامية إلى حركة فتح يقول: «منهم من انسلخ عن آداب الإسلام

---

(١) المصدر السابق ص(٣٤).

(٢) المصدر السابق ص(٣٥).

وعن شرعه وقواعده. فمنهم من ترك الشعائر، ومنهم من تركت نساؤهم الحجاب وانطلقن سافرات، ومنهم من استباح الخمر، ومع ذلك كله فقد ظلت روابط الود والصداقة بينهم وبين صفوف الحركة الإسلامية مما سهّل عليهم نقل أفكارهم الوطنية والقومية واليسارية إلى عدد من أبناء الحركة الإسلامية وإن أقلّ ما فعلوه هو أنهم ميّعوا جدّية التصورات الإيمانية وخلطوها بانفتاح اليسار على قبول الكيان اليهودي في أرض فلسطين المسلمة. ومن خلال هذه التصوّرات المضطربة نشأت علاقات مختلفة بين منظمة التحرير والحركات الإسلامية المتعددة في مختلف البلدان العربية.. وأصبحت معاني الوطنية والقومية والإقليمية هي القوة الجامعة في كثير من الأحيان عمليًّا في الميدان، مع بقاء الشعارات المختلفة مرفوعة تتزاحم في الساحة، وتتنافس على إثبات الوجود تنافسًا تغيب في طيّاته القضايا الأساسية التي قام الناس لأجلها»[1].

▫ ويقول النحوي: «لم تستطع الحركة الإسلامية أن تتخذ موقفًا موحدًا من منظمة التحرير، فقد تضاربت الآراء والمواقف.. واستغرق الخلاف لقاءات كثيرة وزمنًا غير قليل، وتأثر التنظيم الفلسطيني بكل الخلافات القائمة في الحركة الإسلامية، وبعلاقات مضطربة لبعض أفراده مع منظمة التحرير.

وبالرغم من وجود رأي عام خافت ينادي بضرورة قيام الحركة الإسلامية بواجبها في بناء الجهاد الإسلامي المستكمل لشروطه ليتولى هو زمام قضية فلسطين، بالرغم من ذلك وبالرغم من الدراسات والشروح

---

(١) «عبد اللّه عزام» ص(٢٢).

والمناقشات، فإن الاتجاه الذي تغلّب عمليًّا هو التعاون مع فتح ومنظمة التحرير في ميادين عدة وتقديم مساعدات مالية لها.

ولقد برز هذا التعاون واضحًا في ما يسمى «بقواعد الشيوخ»، ويحدثنا عن مرارة هذا التعاون الدكتور عبد اللَّه عزّام ـ رحمه اللَّه ـ، الذي عانى هو نفسه من هذا التعاون في معسكرات «قواعد الشيوخ».

❐ويحدثنا حسين خليل حسين عن هذا التعاون بصورة أوضح وأوسع في كتابه «الشيخ عبد اللَّه عزّام» حيث يقول: «.. وهنا نود أن نقول بصريح العبارة أن الحركة الإسلامية قرّرت المشاركة في الجهاد لكنهم لم يرتكبوا حماقة تكوين منظمة مستقلة!!!.. فآثروا نكران الذات وانضووا تحت لواء حركة فتح!!![1]، ورفضوا حتى مجرّد أن يطلق عليهم اسم «فتح الإسلامية»، وهذا الاختيار كان يجسّد علاقة حميمة ربطت بين الحركة الإسلامية ومعظم قادة فتح من أمثال أبي عمار وأبي جهاد وأبي إياد وأبي السعيد وأبي ماهر، وأبي صبري، وأبي سامي وغيرهم..» ويقول: «.. وفي فتح تلتقي كل الأفكار والآراء والتيارات على أن تصب جميعها في بوتقة واحدة...»، ويقول أيضًا: «كان زعماء هذه الحركة الإسلامية يشكلون أحد الروافد الرئيسية لمساعدة حركة فتح ماديًّا وسياسيًّا وفي الحقل الاجتماعي .. بل لقد كانوا في أحلك الظروف العصيبة يشكلون الدعامة القوية للحركة لمساعدتها على الوقوف في وجه كل العواصف والأعاصير المدمرة»[2] ❐[3].

(١) انظر إلى هذا التخبط.. ولا يدل هذا إلاّ على عقيدة مشوّشة.

(٢) «الشهيد عبد اللَّه عزام» لحسين خليل حسين ـ دار أسامة للنشر ـ الرياض ـ الطبعة الأولى.

(٣) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٢١٧ ـ ٢١٨).

□ تعالى معي إلى أقوال عبد اللَّه عزام نفسه:

□ يقول الدكتور عدنان النحوي في كتابه «عبد اللَّه عزام»:

«ولنسمع رأي الدكتور عبد اللَّه عزام في كتابه «حماس» ص(٤٩) يقول ـ رحمه اللَّه ـ: . . وقد كانت بداية فتح نظيفة جَادّة فيها شخصيات متزنة. . ، ثمَّ رأيت الغُثاء وقد طمَّ وعمَّ عليها، وكثر الزبد بسبب الكوادر الواسعة التي لم تجد من يملؤها سوى الهاربين من التجنيد الإجباري أو الساقطين في امتحان الإعدادية العامة، أو الذين لم يجدوا عملاً في المجتمع، فالتجئوا إلى حمل السلاح دون تربية أو إعداد، والتقطتهم الأيدي اليسارية التي تتاجر بالدماء وتختفي غالبًا وراء أَبواق أجهزة البثِّ، لتبني قصور أمجادها على جماجم الطّيبين من أبناء فلسطين، الشباب الأَغرار الذين التقطتهم وربتهم على اليسار والتمرّد على الأديان جميعًا، وعلمتهم تمجيد ستالين ولينين وجيفارا وماو وهوشي منه، ورفعت شعار العلمانية، وحاربت الملتزمين بأخلاقهم، وضيقت على الصادقين في مسيرتهم».

□ ثم يقول الدكتور النحوي معلقًا:

«حديث الدكتور عبد اللَّه عزّام يطرح أسئلة كثيرة. . أولاً: لماذا ربى هو بهذا التعاون؟! لماذا رضي المسلمون؟! هؤلاء الذين التجئوا إلى السلاح بدون تربية والتقطهم اليسار لماذا لم يلتقطهم المسلمون والدعاة المسلمون»[١] .

□ ثم يقول ـ رحمه اللَّه ـ[٢] في ص(٥١): «وعايشنا الأحداث سنة

(١) «عبد اللَّه عزام» للنحوي ص(٦٥).

(٢) عبد اللَّه عزام في كتابه «حماس» ص(٥١).

١٩٨٢م، إذ دخل اليهود لبنان وحاصروا بيروت، وتدخل العرب..»، إلى أن يقول: «والخدعة التي انقادت بها المنظمة يوم أَن رضيت أَن تلقي سلاحها وتخرج عزلاء يُوزَّعُون كما توزَّع سبايا الحروب، ثمَّ إبقاء النساء والأطفال في مخيمي صبرا وشاتيلا والعمل بهم تقتيلاً وذبحًا وبقر بطون النساء...».

❑ يقول النحوي: «معظم النقد والملاحظات كان ينصبُّ على الأشخاص وعلى العلاقات الشخصية، ولم يكن هنالك تحليل أو دراسة لنهج هذا الرجل أو هذه المؤسسة أو تلك وأهدافهم وتطابق النهج والأهداف. لم يكن هنالك دراسة للخُطة أو النهج حتى يتمَّ القبول أَو الرفض. التعاون أو عدمه، على أساس من قبول النهج والمسيرة والخطة والأهداف. لا بُدَّ من إثارة هذه القضية لخطورتها. فمنذ طفولتنا حتى يومنا هذا نتناول أخطر قضايا الأمة ونزنها بميزان الأشخاص وعلاقتنا بهم ونظرتنا لهم فقط، دون مناقشة المناهج والمسيرة والراية والأهداف، ودون ردّ ذلك كلِّه إلى ميزان ثابت. أَعرض هذه القضية لخطورتها في ميزان الإسلام وصدق الإيمان، ولخطورتها في صياغة جوهر الولاء في ميدان الممارسة والتطبيق، حين يتحول الولاء إلى أشخاص فقط ولاءً منعزلاً عن نهج وأهداف.

لا بد إذن أَن نلتزم مناقشة الخُطة والنهج والأهداف، مع مناقشة الأشخاص والعلاقات والسلوك، وردّ ذلك كله إلى منهج اللَّه ردًّا دقيقًا أمينًا، ينكشف من خلاله الولاء والعهود والمواثيق، ولنتحقّق من تطابق النهج والأهداف. ويقول الدكتور عبد اللَّه عزام عن تلك المنظمات واحدة واحدة حتى تلك التي تعاون معها في تجربته الأُولى، يقول: «.. إذ قلَّما

كنت تجد آنذاك مصليًا في المنظمات. ولعلك تستطيع أن تدرك السوء البالغ الذي كانت تحياه المنظمات والدرك الهابط الذي كانت تتخبَّط فيه أنه في ٤ نيسان ١٩٧٤م، (الذكرى المئوية لميلاد لينين)، اتفقت المنظمات جميعًا دون استثناء على أن تحتفل ولمدة أسبوع بهذه الذكرى..».

▫ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ كذلك: «وأذكر أني طُلبت لمحاكمة عسكرية؛ لأنني انتقدت جيفارا..» (يلاحظ القارئ الكريم أن هذا حدث في فتح التي كان يتعاون معها).

▫ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ كذلك في ص(٧٧): «لتَبَجُّح أَهل الباطل وانتفاشهم وانتفاخهم أن عدد المسلمين كان قليلاً في منظمة فتح. لقد كانت المنظمة اليسارية تسبُّ اللَّه ورسوله عمدًا أمامنا ليغيظونا،.. فكانت كلمة السرّ في الليل أثناء الحراسة شتم اللَّه أو النبي أو الدين..».

ويذكر بعض الأسماء التي برزت في فلسطين في الحزب الشيوعي، نُعيد بعض ما يرويه هنا للذكرى والعبرة والتأمل، ولمراجِعة حساباتنا ومسيرتنا ومواثيقنا: «وأبرزت اليهودية الشيوعية «إميل توما» سكرتيراً لنقابة العمل الشيوعية في حيفا و«إميل حبيبي» سكرتيرًا لها في الناصرة، و«فؤاد نصر» سكرتيرًا لها في يافا». وكان الجميع يطالبون بإقامة دولة لليهود في فلسطين.

وكان محمود درويش وسميح القاسم يحملان العلم اليهودي الإسرائيلي في مؤتمر صوفيا الدولي! وكان هؤلاء كلهم يقولون عن اليهود: «شعب له حق الحياة كما لنا حق الحياة»! وأقول أيضًا: هذا ما نصّ عليه صلاح خلف في كتابه «فلسطيني بلا هوية». وهذا ما ردّده كثير من رجال المنظمة ومن رجال فتح. فلماذا كان القتال إذن؟!

لا شك أنها تجربة مرَّة في غاية المرارة. فهل نقل ـ رحمه اللَّه ـ تجربته هذه إلى المسلمين؟! هذا ما نعتقده! وهو لم يخض هذه التجربة وحده، فلقد خاضها أعداد تحطَّمت أحلامهم على نتائج هذه التجربة. ولكنها تظل تجربة غنيّة تعلّم المسلم معنى التعاون الذي يجيزه الإسلام والذي لا يجيزه. تعلمه معنى الولاء بين المؤمنين. فقد خضع هذا النَّفَر من المؤمنين لنظام منظمة التحرير، وقسوته عليهم وإذلاله لهم، بينما لم يتحمَّل المؤمنون بعضهم بعضًا، فدنا عدوٌّ ونأى صديق. واختلطت الشعارات والمبادئ والموازين.

تُعلّمنا هذه التجربة أن محمود درويش ورفاقه عَمِيتْ أَبْصارهم عن رؤية الحقيقة حين قالوا عن اليهود: إنه شعب له حق الحياة كما لنا حق الحياة، عميتْ أَبصارهم عن رؤية الحقيقة مِنْ أنَّ اليهود أَخذوا ونالوا حقَّ الحياة في أَرض ليست لهم، وأَننا نحن خسرنا وحُرمنا من حق الحياة في أرضنا. والذي يثير العجب والذهول أن يردِّد هذا الكلام الذي يقوله محمود درويش ورفاقه بعضُ قادة المنظمة فيما يكتبون، ويؤمن به آخرون من القادة دون أَن يعلنوه، من الذين يعطفون على اليهود وحقِّ اليهود، وهم ينتسبون لنا، ويتظاهرون بأنهم يعرفون مأساتنا ومعاناتنا وهول الظلم الواقع علينا. ولكن هذه التصريحات لا تحمل إلا العطف على اليهود المعتدين، وإلا تأييد الظالمين، وإلا تجاهل ما يقع علينا، نحن أَهلهم، إن كانوا حقًّا ينتسبون لنا، من ظلم الظالمين المغتصبين المعتدين الطاغين»[1].

□ ويقول الدكتور النحوي أيضًا عن علاقة الإسلاميين بمنظمة

(١) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٦٧ ـ ٦٩).

التحرير: «من محاضرة أحد الدعاة المسلمين، أَحد الأساتذة الدعاة العاملين، من محاضرة في جامعة الكويت وعنوانها: «البنية الداخلية للتجربة الفلسطينية على صعيد قضية فلسطين»، نجد صورة واضحة عن طبيعة التعاون. كانت المحاضرة قبل قيام الانتفاضة، وبعد مجازر لبنان، وبعد انشقاق «أبي موسى» عن حركة فتح. كانت منظمة التحرير تمرُّ في أصعب ظروفها، كانت في واقع يهدِّد سلامة تنفيذ سياستها وأَهدافها التي قامت عليها كما أعلنها عبد الناصر. في هذه اللحظات الحرجة في شهر رمضان لسنة ١٤٠٥هـ، جاءت المحاضرة لتوضح ظلالاً قوية من العلاقات، وتوضح أَهمية الدعم الذي قدّمته الحركة الإسلامية لمنظمة التحرير، لتجتاز المحنة التي تمرُّ بها. ولقد عبّر الأستاذ الداعية عن ذلك بقوله: «الآن خلّه يطيب وبعدين نمسكه من ودنه»!، ولكن الحقيقة كانت أنَّ بعدين [أي: فيما بعد] التقى المجلس الوطني الأخير ليعلن السياسة الأخيرة، ولم تُمسك أُذن، ولم يتغير نهجٌ، وتحققت الأهداف المعلنة منذ سنة ١٩٦٥م، بالقرارات الخطيرة، والتنازلات الواضحة الكبيرة المذهلة! ومضت منظمة التحرير في إعلان تنازلاتها واضحة صريحة جريئة ثابتة، لا تحمل أيّ نيّة للتراجع، ولم يعد هنالك مجال للتراجع. ومن الأسئلة التي وجِّهت للمحاضر الكريم، ومن الإجابات عليها، يتضح الموقف والتعاون والدعم!»[١] .

في قول الدكتور عبد اللّه عزام، وهذا القول الأخير للدكتور أحمد نوفل: أول ما نلاحظه هو توافق النصيْنِ من حيث الدلالة على دعم الحركة الإسلامية لمنظمة التحرير!! وفي محاضرة الدكتور أحمد نوفل

(١) المصدر السابق ص(٦٤ ـ ٦٥).

تصريح واضح عن الأيادي الممدودة للتعاون!!

«ومن ناحية أخرى، فهنالك فرق كبير بين ما نسمعه من الأخ الكريم الأستاذ المحاضر في محاضرته التي ألقاها في جامعة الكويت، والتي أوردنا منها جملة أو جملتين لتعذر نقلها هنا كلها، وبين خلاصة التجربة والمشاهدة التي ينقلها الدكتور عبد اللَّه عزام، فبينما يعرض الأول من بين الانتقادات الرغبة في التعاون ومدّ الأيادي، ويسوّغ ذلك بالأخوة القائمة، فإن الآخر يكشف عن حسرة ومرارة وألم من نتائج التجربة. والأول حين يتحدث عن نتائج حرب لبنان سنة ١٩٨٢م، وخروج منظمة التحرير منها، فإنه يقول في محاضرته:

«الآن إذا وقع أخي المسلم وأصابته الجراحة..، نوقف الآن التلاوم، ليس لنا أن نتلاوم..»، أما الدكتور عبد اللَّه عزام فيقول: «والخدعة التي انقادات إليها المنظمة يوم أَن رضيت أَن تُلقي سلاحها وتخرج عزلاء يوزَّعون كما توزَّع سبايا الحروب...». ولا شك أن هاتين نظرتان مختلفتان لقضية واحدة. ربما كان الدكتور عبد اللَّه عزام استفاد من تجربته التي خاضها، وربما لم يستفد الآخرون الفائدة نفسها. وربما كان هنالك رأي ثالث»[١].

❑ لقد قال بعض قادة فتح ممّن رغب الأستاذ الداعية بالتعاون معهم، ومدّ الأيدي لهم باسم الأخوّة التي ذكرها الداعية حين قال: «إذا وقع أخي المسلم..»!!، قال بعض هؤلاء الإخوة: «.. ولأن الحركة الفلسطينية حركة علمانية بصورة قاطعة»[٢].

---

(١) المصدر السابق ص(٦٦ ـ ٦٧).

(٢) كتاب «فلسطيني بلا هوية» لصلاح خلف ص(٢٦٠).

« ويقول محمد درويش، كما يذكر عبد اللَّه عزام في كتابه «حماس»: «. . . وفي سنة ١٩٦١م دخلت الحزب الشيوعي، فتحدَّدت معالم طريقي» فلا عجب أن تسمعه شاعرًا تتغنّى به الصُّحُف العربية وهو يقول شعره: «نامي فعين اللَّه نائمة عنا وأسرار الشحارير».

من هذه المقتطفات والنصوص، ومن هذه المواقف والأحداث، ومن هذه العلاقات والارتباطات، يدرك كلُّ مسلم عرف دينه إيمانًا وعلمًا، أن العلاقات لم يكن ينظّمها «التوحيد» بقواعده وأسسه، ولم يكن يضبطها ويوجهها، وظلت العلاقات الشخصية تبرز في إطار واضح على شكل ما يسميه بعضهم بالأحلاف الوطنية، الأحلاف التي أصبح للمسلمين تجارب كثيرة مريرة فيها، تجارب لم يكن يستفيد منها إلا الفكر اليساري وحده. قد نعلن أن ولاءنا للَّه. ولكننا في واقع الممارسة يضطرب الميزان في أيدينا، فلا يعود التوحيد والإيمان وقواعدهما هي التي تحدِّد الولاءات، ولا هي التي تحدِّد الحبَّ أو البغض، ولا هي التي ترسم العهود والمواثيق. ولم يعد التوحيد بصورته القرآنية هو الذي يحدِّد المواقف والاتجاهات، ولا هو الذي يرسم المناهج، فتعددت الاتجاهات واضطربت وتصادمت!

لا تَقُل لي: مراحِلُ ودَهاء ... كل يوم تَضيقُ حَوْلي الحدودُ
كلَّ بضع من السنين ترانا ... ألفَ ميلٍ إلى الوراء نعود
وعدوِّي أراه يقفز وثبًا ... لمزيدٍ وما كفاهُ المزَيدُ
لا تَقُلْ لي: رأيٌ وخطة نهج ... ذاكَ نَهْجٌ تضيع فيه الجهودُ
كلَّ يوم نرمي ونُعْلي شعارًا ... وعدوِّي له شِعارٌ وحيدُ



ولدينـا من العـواطف نـارٌ أَكَلَتْنا ومِنْ هِوانا وقودُ
وخُطـانا على الطريـق شـتاتٌ كل حِزْبٍ بما لديهِ سَعِيدُ»[١]

إن صاحب الدعوة والجهاد الحق له هدف، وله منهج، وله طريق، وهو يمضي في طريقه على منهجه إلى هدفه مفتوح العين، مفتوح القلب، يقظ العقل، لا يرضى بالوهم، ولا يعيش بالرؤى، ولا يقنع بالأحلام، ولا يرضى بالغبش.

❑ يقول الشيخ سيد قطب:

«ما كان يمكن أن يلتقي الإسلام والجاهلية[٢] في منتصف الطريق، ولا أن يلتقيا في أي طريق. وذلك حال الإسلام مع الجاهلية في كل زمان ومكان.. جاهلية الأمس وجاهلية اليوم، وجاهلية الغد كلها سواء. إن الهوة بينها وبين الإسلام لا تُعبر، ولا تُقام عليها قنطرة، ولا تقبل قسمة ولا صلة. وإنما هو النضال الكامل الذي يستحيل فيه التوفيق».

❑ لا غبش ولا التواء ولا انحراف ولا خلط في العقيدة والمنهج..

إن التوحيد منهج، والعلمانية منهج آخر ولا يلتقيان.. التوحيد منهج يتجه بالإنسان إلى اللّه وحده لا شريك له، ويحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، وآدابه وأخلاقه، وتصوراته كلها عن الحياة والوجود غير متلبسة بالشرك في أي صورة من صوره الظاهرة والخفية ... وهي تسير.

أول خطوة في الطريق هي تميّز الداعية وشعوره بالانعزال التام عن

---

(١) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٧٠ ـ ٧١).

(٢) وهل بعد سب اللّه ورسوله، وبعد الاستهزاء بدينه، وبعد اختيار العلمانية منهجًا وفكرًا هل بعد هذا كله جاهلية؟!.. إن لم تكن هذه جاهلية فليس على ظهر الأرض جاهلية.

الجاهلية: تصورًا ومنهجًا وعملاً، فلا التقاء في منتصف الطريق.

لا ترقيع، ولا أنصاف حلول، ولا التقاء.. وبغير هذه المفاصلة سيبقى الغبش وتبقى المداهنة ويبقى اللبس ويبقى الترقيع.. والدعوة إلى الإسلام والجهاد لا تقوم على هذه الأسس المدخولة الواهنة الضعيفة. إنها لا تقوم إلا على الحسم والصراحة والشجاعة والوضوح..

* كلمات للحياة:

يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ في «الظلال» (٢/ ٩٤٠، ٩٤١): «إن دين اللَّه ليس راية ولا شعارًا ولا وراثة!! إن دين اللَّه حقيقة تتمثل في الضمير وفي الحياة سواء، تتمثل في عقيدة تعمر القلب، وشعائر تقام للتعبد، ونظام يصرف الحياة.. ولا يقوم دين اللَّه، إلا في هذا الكل المتكامل.. وكل اعتبار غير هذا الاعتبار تمييع للعقيدة وخداع للضمير.

وصاحب الدعوة لا يكون قد بلّغ عن اللَّه إلاّ إذا أبلغهم حقيقة الدعوة كاملة.. وحين يجمجم صاحب الدعوة ويتمتم ولا يبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل وبين ما يدعوهم إليه من الحق، حين يفعل هذا صاحب الدعوة.. ـ مراعاة للظروف والملابسات ـ يكون قد خدعهم وآذاهم» ا.هـ.

ويقول ـ رحمه اللَّه ـ أيضًا في «الظلال» (٥/ ٦١٧):

«إن كلمة «مصلحة الدعوة»[٢] يجب أن ترتفع من قاموس أصحاب الدعوات؛ لأنها مزلة، ومدخل للشيطان، يأتيهم حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص ولقد تتحول «مصلحة الدعوة» إلى صنم

---

[١] بدون الضابط الشرعي.

يتعبده أصحاب الدعوة وينسون معه منهج الدعوة الأصيل.

إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على منهجها، ويتحروا هذا المنهج، دون التفات إلى ما يعقبه هذا التحرّي من نتائج..

فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتَّقُوه هو خطر الانحراف عن المنهج لسبب من الأسباب، سواءً كان هذا الانحراف كثيرًا أو قليلاً والله أعلم منهم بالمصلحة، وهم ليسوا بها مكلفين، إنما هم مكلفون بأمر واحد: ألا ينحرفوا عن المنهج، وألا يحيدوا عن الطريق» اهـ.

*** الولاء لله ولرسوله:**

«إن أول ما يولده التوحيد الصادق في نفوس المؤمنين ولاء خالص لله سبحانه وتعالى، ولاء نقيّ، ولاء ممتد في حياة المؤمن، لا يضعف ولا يتقطع، ولا يتفلّت. وإن أول معاني الولاء أن يكون الله ورسوله أحب إلى المؤمنين مما سواهما، وأن يظهر هذا الحب الأعلى في الكلمة والرأي والشعار والخطوة والموقف، أن يظهر سمة بارزة في حياة المؤمن ويظل كل حب في حياة المؤمن في الحياة الدنيا يخضع لخصائص منهج الله، يحمل منه سماته وصفاته، ويحمل كذلك الموازنة الأمينة بين هذا الحب وذاك حتى لا تضل الموازنة ولا تتيه.

◻ وإن المعنى الثاني للولاء هو أن لا يقوم في حياة المؤمن ولاء إلا أن ينبع من ولائه لله، ويخضع له، ويرتبط به.

والمعنيان الأول والثاني مرتبطان معنى وفكرًا وممارسة»[١].

يجب أن لا يعلو شعار أبدًا على شعار التوحيد، ولا تعلو راية،

---

(١) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٢٤٥ ـ ٢٤٦).

ولا يرتفع حب فوق حب اللَّه ورسوله.

إن جهاد الصحابة في أرض الشام وفلسطين قام على صفاء الإيمان والتوحيد، وصفاء الولاء، والعلم بكتاب اللَّه وسنة رسوله.

إن جَهْلنا عقيدة الصحابة الذين فتحوا فلسطين جعل الأمور تختلط علينا فلم نعد نعرف العدو من الصديق، وحتى صارت البسمة الصفراء تربط صداقة مع عدو، والكلمة المنافقة تنشئ ودًّا مع فاجر، والعناق المخادع يربط ولاءات، وبعد أن اتضحت الأمور كلها ما عذر المجاهدين الصادقين حتى يجهلوا القريب والبعيد، والمقرّب والمبعد، فدنا عدو ماكر، ونأى صديق وفيّ، وانسلّ شيطان واندس مجرمون.

ولقد استغل الأعداء والمنافقون هذا الجهل، فزيّنوا الباطل حتى صدّقه الجاهلون، وأخفوا الحق عن الغافلين.

إن قضية الولاء للَّه سبحانه وتعالى هي التي تقرر النصر أو الهزيمة، وهي منبع القوة في حياة المسلمين، وفي قضاياهم، ومصدر النصر كله من عند اللَّه، والركون إلى الظالمين يعني فقد القوة وفقد النصر، وأهم من ذلك كله، فإن الركون إلى الظالمين هو الطريق إلى النار، إلى جهنم.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

☐ حزب اللَّه ليس هو المرجو والمثل الأعلى، بل هم من الرافضة الذين يكفرون الصحابة ويفسقونهم، وحسن نصر اللَّه ليس صلاح الدين القرن العشرين فكفى دجلاً وتلميعًا بل هو خوميني العرب:

«لكم عانت أمة الإسلام من خلط المفاهيم وتشويه صورتها، ومن

تبديل الحقائق وتزويرها، ولكم عانت كثيراً من تجارب مريرة خدعتها زخرفة الصورة وبهاء منظرها، وحلو منطق مُزَخْرِفها..».

ومن هذا الخلط التلميع الدائم والمستمر لحزب اللَّه وكأنهم جند اللَّه المنتظرون حتى يقول أحد الناس عن حسن نصر اللَّه زعيم حزب اللَّه الشيعي: «إنه صلاح الدين في القرن العشرين».

هذه السنون الخداعة التي نعيش فيها جعلت من المبتدعة المتطرفين في بدعتهم قادة وأبطالاً تصاغ لهم الأمجاد كاذبة وتهتف لهم الجماهير.

❑ فهمي هويدي، وحلمي القاعود، ومجدي أحمد حسين، ومنتصر الزيات، ومحمد مورو، وعبد العظيم المطعني، ودعاة الإخوان يلمعون صورة حزب اللَّه المبتدع وكأنه قدوة الأمة:

إن العامي من أهل السنة تنضبط عنده المعايير أكثر مما تنضبط عند دعاة مشهورين على غير منهجه السديد، تختلط عليهم الأمور؛ لأنهم يقيسونها بعاطفتهم على غير هدى من عقيدة السلف.. وإلا فانظر إلى المرموقين وقولهم:

❑ يقول **فهمي هويدي**: في مقالة بعنوان «**إنهم يرصعون جبين أمتنا**»:

«إن المقاومة الإسلامية في لبنان تمثل لنا ضوءاً باهراً في الأفق المعتم، وصوتًا جسوراً وسط معزوفة الانكسار، وقامة سامقة تصاغر إلى جوارها دعاة الانبطاح والهرولة، وهي مع هذا كله لم تنل ما تستحقه من متابعة وتقدير في الخطاب الإعلامي العربي. ويحزن المرء أن بعضًا منا أغمضها حقها، محاولاً النيل منها وتلطيخ صورتها الوضاءة.

إن الإفصاح عن مشاعر المؤازرة والامتنان لأولئك الشباب بمثابة «فرض عين» لا يسقط بالتقادم!! إنهم يدافعون ـ بهذا الدور البطولي

الذي يقومون به ـ عن شرف الأمة العربية وعن الأمل في أعماق كل واحد فينا، إنهم يرفعون رؤوسنا عاليًا ويرصِّعون جبين أمتنا»[١] .

ويقول «حلمي القاعود»: «إن حزب اللَّه يقوم بدور رائد في إيقاظ الأمة وتقديم الدليل على قدرتها لصد العدوان»[٢] .

ويقول «مجدي أحمد حسين»: «فالمقاومة الإسلامية لحزب اللَّه واحدة من أبرز معالم نهضة الأمة وأكبر دليل على حيويتها»[٣] .

ويقول منتصر الزيات:

«إن المؤشرات تدل على فشل محاولات التسوية الجارية لكونها انهزامية، وهذا يفتح الباب واسعًا لبقاء حزب اللَّه رمزًا حيويًّا للمقاومة الإسلامية!! بل والعربية، وسيتمتع في هذا الإطار بالشموخ والاستعلاء على كل دعاوىٰ التسوية الاستسلامية السائدة في المنطقة»[٤] .

ويقول د. محمد مورو: «لماذا حظيت المقاومة الإسلامية بهذا القدر الهائل من التضامن الشعبي العربي والإسلامي؛ بل من كل المستضعفين في العالم؟

وهل يتحول الطرح السياسي والحضاري لتلك المقاومة إلى أيديولوجية للمحرومين في كل مكان في العالم في مواجهة النمط الحضاري والقيمي الغربي الذي يهدد العالم بأسره؟ لماذا نجحت المقاومة

---

(١) «إنهم يرصعون جبين أمتنا» مقالة لفهمي هويدي بجريدة الأهرام (٣٠/ ٣/ ١٩٩٩م).

(٢) جريدة «الشعب» القاهرية الصادرة عن حزب العمل يوم (٩/ ٣/ ١٩٩٩م).

(٣) «وانتصرت المقاومة» لمجدي أحمد حسين ص(٧) ـ مركز يافا للدراسات والأبحاث ـ الطبعة الأولى.

(٤) جريدة «الحياة»، العدد (١٣٥١٢)، (٣/ ١٢/ ١٤٢٠هـ)، (٩/ ٣/ ٢٠٠٠م).

اللبنانية في أن تصبح طليعة لكل قوى التحرر العربي على اختلاف مشاربها الدينية والطائفية والسياسية والطبقية؟! وبصيغة أخرى: لماذا نجحت المقاومة اللبنانية في الخروج من مأزق الطائفية الضيق!!! إلى رمز للتحرر لكل إنسان مسلمًا كان أم مسيحيًّا، عربيًّا أم عالميًّا، أبيض أو أسود؟ لماذا كانت المقاومة ـ وحزب اللَّه بالتحديد ـ هي الجزء الحي في النسيج العربي الذي اهترأت الكثير من أجزائه وأُطُرِه الفكرية والتنظيمية؟»[(١)] .

❑ **مهلاً مهلاً يا قوم، فما هكذا تورد الإبل.. لا تحسبوا الشحم فيمن شحمه ورم:** أمام الحقائق ينهار هذا المديح الفارغ، ولنعد إلى الوراء قبل أن نتكلم عن حلم حزب اللَّه بتكوين دولة تقوم على تبنّي المذهب الجعفري الاثنى عشري منهجًا ونظامًا:ـ

❑ إن العلاقة بين لبنان وإيران علاقة متميزة على اختلاف مراحلها الزمنية: «فحين استولى الصفويون على حكم إيران في مطلع القرن السادس عشر وجعلوا من التشيع الإمامي دين الدولة والأمة، كان التشيع يذوي ويتلاشى، سواء في مدارس النجف أو في مدارس خراسان، فعمد الشاه إسماعيل إلى استقدام علماء من جبل عامل ـ جنوب لبنان ـ لتدريس الفقه الإمامي، فكان منهم: بهاء الدين العاملي محمد بن الحسين بن عبد الصمد الذي أصبح شيخ الإسلام في أصفهان على عهد الشاه عباس الكبير، وكان منهم أيضًا علي بن الحسين العاملي المعروف بالمحقق الكركي الذي روّج المذهب وبالغ في ذلك بحيث لقبه بعضهم بمخترع مذهب الشيعة»[(٢)] .

---

(١) «الجهاد في سبيل اللَّه، حزب اللَّه نموذجًا» للدكتور محمد مورو ص(٦٢) مركز يافا للدراسات والأبحاث.

(٢) «حقيقة المقاومة.. قراءة في أوراق الحركة السياسية الشيعية في لبنان» لعبد المنعم شفيق =

«ومنطقة جبل عامل (أو عاملة) في قلب جنوب لبنان كانت أهم مرجعية شيعية في العالم بين القرنين الميلاديين الرابع عشر والسادس عشر، ومع بداية هذا التعاون مع الدولة الصفوية أُبيد الآلاف من أهل السنة من العامة والعلماء، ففي تبريز ـ العاصمة ـ وحدها كان السنة فيها لا يقلون عن ٦٥٪ من السكان، وقد قُتل منهم في يوم واحد ٤٠ ألف سني!! كما أجبر الألوف على التحول القسري إلى مذهب الإمامية[١]. كما كانت هناك مؤامرات عديدة وتعاون مع قوى غربية على إسقاط الدولة العثمانية، وهي من الأمور غير الخافية عبر التاريخ[٢].

«وقد استهوت التجربة الصفوية الشيعية ـ المضطهدين ـ في العراق وجبل عامل ـ جنوب لبنان ـ والبحرين، وذهب العلماء بالخصوص ليدعموا تأسيس الدولة الشيعية (الصفوية) الوليدة»[٣].

* أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين[٤]:

لقد كان للحركات الباطنية الشيعية ـ من النزارية ـ الحشاشين ـ، والفاطميين المستعلية. والنصيرية ـ والدروز ـ أكبر الأثر في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين.

وكان لقلاعهم في الشام «قلعة المرقب» وقلعة الخوابي، وقلعة

= ص(٢٩) نقلاً عن «تطور الفكر السياسي الشيعي» لأحمد الكاتب، و«تاريخ جبل عامل» لمحمد جابر آل صفا.

(١) انظر: «تاريخ الصفويين وحضارتهم» لبديع جمعة وأحمد الخولي ص(٥٥) ـ دار الرائد العربي.

(٢) «مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية» ص(٧٧، ١٢٥).

(٣) «تطور الفكر السياسي الشيعي» لأحمد الكاتب ص(٣٧٩).

(٤) اسم كتاب رسالة ماجستير ليوسف إبراهيم الشيخ عيد ـ طبع دار المعالي.

صهيون، وقلعة المينقة، وقلعة بانياس ووادي التيم، وجبل الشوف، وجبل عالية ـ دور كبير في خيانة المسلمين، ولقد عاونوا الصليبيين على احتلال بلاد الشام وساعدوهم في ذلك، واغتالوا خلفاء المسلمين وعلمائهم وقوادهم: فقتلوا الخليفة المسترشد العباسي سنة ٥٢٩هـ، وقتلوا الخليفة الراشد العباسي سنة ٥٣٢هـ وقتلوا الوزير نظام الملك سنة ٤٨٥هـ، وقتلوا الوزير أبا المحاسن عبد الجليل سنة ٤٩٥هـ، وقتلوا أباطالب السميري الوزير سنة ٥١٦هـ، وقتلوا الوزير معين الملك «أبا نصر» والوزير عضد الدين أبا الفرج والوزير نظام الملك مسعود بن علي والوزير فخر الملك أبا المظفر عليّ بن نظام الملك وقتلوا من الفقهاء: الفقيه أحمد بن الحسين البلخي، وأبا القاسم ابن إمام الحرمين والفقيه عبد اللطيف بن الخجندي، والفقيه أبا المحاسن الروياني، والقاضي عبيدالله بن علي الخطيبي، والقاضي صاعد بن عبد الرحمن أبا العلاء، والقاضي أبا سعد محمد بن نصر الهروي، والواعظ أبا جعفر بن المشاط، والواعظ أبا المظفر الخجندي.

❑ ومن السلاطين قتلوا السلطان داود بن السلطان محمود، والسلطان بكتمر.

❑ ومن الأمراء: الأمير بلكابك سرمز سنة ٤٩٣هـ، والأمير أحمديل بن إبراهيم الروادي والأمير تاج الملوك بوري بن طغتكين، والأمير آقسنقر الأحمديلي، والأمير أغلمش، والأمير شهاب الدين الغوري، والأمير جناح الدولة حسين، والأمير خلف بن ملاعب، والأمير شمس الملوك إسماعيل بن بوري والأمير برسق الكبير.

❑ ومن قادة المجاهدين ضد الصليبيين قتلوا الأمير مودود صاحب

الموصل قتلوه بعد فراغه من صلاة الجمعة في مسجد دمشق وهو صائم، وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين فيه: «إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على اللَّه أن يبيدها»[1].

وقتلوا قائدًا آخر من قادة الجهاد ضد الصليبيين وهو الأمير قسيم الدولة آقسنقر البرسقي سنة ٥٢٠هـ قتلوه في المسجد الجامع بعد صلاة الجمعة، وحاولوا قتل صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٠هـ داخل معسكر جيشه، ومرة أخرى سنة ٥٧١هـ وهو محاصر لحلب... وحاربوا صلاح الدين ونور الدين محمود زنكي وتحالفوا مع الفرنجة أيام أن كانت لهم دولة في مصر وهي الدولة الفاطمية.

□ وماضي منظمة أمل الشيعية التي خرج منها «حزب اللَّه» أسود فلقد قتلوا المئات من الفلسطينيين وأهل السنة في المخيمات الفلسطينية بداية من ٢٠/ ٥/ ١٩٨٥ وحتى ١٨/ ٦/ ١٩٨٥، ودفعوا أهل السنة من الفلسطينيين لأكل القطط والكلاب وفعلوا ما لم تفعله إسرائيل وسقط من الفلسطينيين ٣١٠٠ بين قتيل وجريح، وذبحوهم من الأعناق واغتصبوا النساء وهذا نقدمه بداية لكلامنا عن «حزب اللَّه» الذي انبثق عن منظمة أمل وخرج من عباءتها.

*** من فم قادة حزب اللَّه ندينهم، فهم شيعة اثنا عشرية أسيادهم علماء قم وإيران:**

حتى لا يُزيّف الواقع ويُلَمّع المبتدعة من الشيعة من رجال حزب اللَّه

---

(١) «الكامل» لابن الأثير (١٠/ ٤٩٦، ٤٩٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ١٧٣)، و«الروضتين» لأبي شامة (١/ ٢٧).

فإنا ننقل أقوالهم وصلتهم بشيعة إيران إخوانهم في المذهب الاثنا عشري الجعفري: يقول محمد حسين فضل اللَّه المرشد الروحي لحزب اللَّه: «إن علاقة قديمة مع قادة إيران الإسلامية بدأت قبل قيام الجمهورية الإسلامية، إنها علاقة صداقة وثقة متبادلة، ورأيي ينسجم مع الفكر الإيراني ويسير في نفس سياسته»[١] .

◻ ولما قيل لحسن نصر اللَّه[٢] الأمين العام لحزب اللَّه: إن دور حزبه لن ينتهي؛ لأنه حزب مستورد من الخارج (سوريا أو إيران) فقال: «لنكن واضحين ونحكي الحقائق، الفكر الذي ينتمي إليه «حزب اللَّه» هو الفكر الإسلامي، وهذا الفكر لم يأت من «موسكو» أيام الاشتراكية ولا من «لندن» أو باريس، إذن نحن لم نستورد فكرًا، وإذا كان من يقول: إن الفكر إيراني. أقول له: إن هذه مغالطة؛ لأن الفكر في إيران هو الفكر الإسلامي الذي أخذه المسلمون إلى إيران، وحتى هذا الفكر خاص بعلماء جبل (عامل). اللبنانيون هم الذين كان لهم التأثير الكبير في إيران

---

(١) «مجلة المجتمع»، العدد ٩٥٥، «حلقات الإسلام والكونجرس»، الحلقة ٣٨ ص(٤٦)، د. أحمد إبراهيم خضر.

(٢) حسن عبد الكريم نصر اللَّه (خوميني العرب) من مواليد ٢١ أغسطس ١٩٦٠، عُيِّن مسئولاً عن حركة أمل في بلدة البازورية في قضاء صور، وسافر إلى النجف في العراق عام ١٩٧٦م لتحصيل العلم الديني الإمامي، وعُين مسؤولاً سياسيًّا في حركة أمل عن إقليم البقاع وعضوًا في المكتب السياسي عام ١٩٨٢م، ثم ما لبث أن انفصل عن الحركة وانضم إلى حزب اللَّه، وعُيِّن مسئولاً عن بيروت عام ١٩٨٥م، ثم عضوًا في القيادة المركزية وفي الهيئة التنفيذية للحزب عام ١٩٨٧م، واختير أمينًا عامًّا على أثر اغتيال الأمين العام السابق عباس الموسوي عام ١٩٩٢م مكملاً ولاية سلفه، ثم أعيد انتخابه مرتين عام ١٩٩٣م، و١٩٩٥م.
وردت هذه الترجمة لنصر اللَّه في مقدمة حواره مع «مجلة الشاهد السياسي»، العدد ١٤٧، ٣/١/١٩٩٩م.

على المستوى الحضاري والديني في القرون السابقة، أين هو الاستيراد؟ هذا الحزب كوادره وقياداته وشهداؤه لبنانيون»[١].

وقال الناطق باسم حزب اللَّه ـ ذاك الوقت ـ إبراهيم الأمين: «نحن لا نقول: إننا جزء من إيران؛ نحن إيران في لبنان، ولبنان في إيران»[٢].

ويقول حسن نصر اللَّه: «إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم بالإسلام، والدولة التي تناصر المسلمين والعرب! وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون، ولنا صداقات مع أركانه ونتواصل معه، كما أن المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا»[٣].

«وقد عيّن مرشد الثورة الإيرانية على خامنئي الشيخ محمد يزبك عضواً ثوريًّا لحزب اللَّه والمدرس بحوزة الإمام المنتظر ببعلبك، والسيد حسن نصر اللَّه أمين عام الحزب «وكيلين شرعيين» عنه في لبنان في الأمور الحسبية والوجوه الشرعية، فيستلمان عنه الحقوق ويصرفانها في مصالح المسلمين ويجريان المصالحات الشرعية، ويعينان الوكلاء مِن قِبَلِهما»[٤].

صلة حزب اللَّه بمنظمة أمل:

منظمة أمل هذه أنشأها موسى الصدر وله من الصلة الوثيقة بالخوميني ما له. يقول نبيه بري: «إن حركة أمل ليست حركة دينية، وميثاق الحركة الذي تمت صياغته في عام ١٩٧٥م من قِبَل ١٨٠ مثقفًا

---

(١) «مجلة المقاومة»، العدد (٤٠) ص(٢٩)، وهي مجلة شهرية تصدر في مصر، تعني بشئون حزب اللَّه، يصدرها د. رفعت سيد أحمد ـ مركز يافا للدراسات والأبحاث.

(٢) «جريدة النهار» (٥/ ٣/ ١٩٨٧).

(٣) «مجلة المقاومة»، العدد ٢٧ ص(١٥ ـ ١٦).

(٤) «مجلة السفير» اللبنانية (١٨/ ٥/ ١٩٩٥م).

لبنانيًّا معظهم من المسيحيين!! يدعو إلى إلغاء النظام الطائفي»[١] .

في ٨/ ١٠/ ١٩٨٣م أعلن المفتي الجعفري عبد الأمير قبلان باسم المجلس الشيعي الأعلى ما يلي: «إن حركة أمل هي العمود الفقري للطائفة الشيعية، وإن ما تعلنه أمل نتمسك به كمجلس شيعي أعلى، ومن ثَمّ فإن ما يعلنه المجلس الشيعي تتمسك به الحركة»[٢] .

جاء هذا التأييد للحركة بعد الانشقاق الذي خرجت به «أمل الإسلامية» [حزب اللَّه فيما بعد] وبعد الحضور الفعلي «لحزب اللَّه» على أرض الصراع[٣] .

«وكان حسين الموسوي وهو نائب رئيس حركة أمل قد أعلن عن انشقاقه عن منظمة أمل وأعلن «أمل الأمل الإسلامية» التي تحولت فيما بعد إلى حزب اللَّه»[٤] .

◻ يقول حسن نصر اللَّه الأمين العام لحزب اللَّه: «إننا حريصون على علاقة طيبة مع «أمل» ونحن نعمل على تطوير هذه العلاقة، وهناك لجنة ثنائية من أحد قادة «أمل» مع أخيه في حزب اللَّه ينظرون في كل الأمور المشتركة سياسية وعسكرية، وسياستنا تقول: إن الموضوعات التي نتفق عليها نتعاون معًا، وما نختلف عليه لا يؤدي الخلاف في وجهة

---

(١) «حقيقة المقاومة» ص(١١٧)، و«نص الميثاق في أمل والشيعة» لنورثون ص(٢٢٩ ـ ٢٦٤)، و«أمل والمخيمات الفلسطينية» ص(١٥٥).

ونبيه بري كان رئيسًا لمجلس النواب اللبناني، وهو قائد حركة أمل وعضو المجلس الشيعي الأعلى.

(٢) «أمل والمخيمات».

(٣) «حقيقة المقاومة» ص(١٢٢ ـ ١٢٣).

(٤) انظر «حقيقة المقاومة» ص(١١٩).

النظر إلى نزاع، حتى الخلافات تم تنظيمها، والطابع العام لعلاقتنا الإيجابية والتنسيق والتعاون، وقبل أسابيع حضرت لقاء مع الرئيس (بري) لتثبيت هذه الصيغة وتفعيلها»[1] .

قال حسن نصر اللَّه هذا الكلام عن «أمل» بعد ذبحها للفلسطينيين وأهل السنة.

□ «وبهذا يتضح أنه لم يكن هناك إبعاد كبير «لحركة أمل» بقدر ما هو زحزحة من الصورة «العسكرية» والمواجهة إلى الساحة «السياسية» واستبقاؤها لأدوار أخرى تتوافق والمتغيرات السياسية لإيران وملفاتها في لبنان»[2] .

*** ميثاق حزب اللَّه ينص على أنه شيعي إمامي اثنا عشري جعفري:**

جاء في ميثاق حزب اللَّه المعلن في ٢٦ جمادى الأول ١٤٠٥هـ الموافق ١٦ شباط ١٩٨٥م: «إننا أبناء أمة حزب اللَّه التي نصر اللَّه طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم.. نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسّد حاضراً بالإمام المسدد آية اللَّه العظمى روح اللَّه الموسوي الخميني دام ظله.. مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة... أما ثقافتنا فمنابعها الأساسية: القرآن الكريم، والسنة المعصومة!!!!، والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد عندنا...

إن الإمام الخميني القائد أكّد مراراً على ضرورة صلاح العالم

---

(١) حوار أجرته «مجلة المصور» المصرية في شهر مارس ١٩٩٩م، ونشرته «مجلة المقاومة» في العدد ٤٠ / إبريل ١٩٩٩م ص(٢٦).

(٢) «حقيقة المقاومة» ص(١٢٤).

واهتمامه بتزكية نفسه قبل الآخرين. . . »[١].

* **الخميني إمام حزب الله ضال مضل شيعي اثنا عشري جعفري متطرف:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «. . . وقال بعضهم لأحمد بن حنبل: إنه يثقل عليّ أن أقول فلان كذا وفلان كذا. . . فقال: «إذا سكتَّ أنت وسكتُّ أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟ ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة والعبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحبّ إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه. . . وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين وهذا أفضل. فتبيّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل اللَّه، إذ تطهير سبيل اللَّه ودينه ومنهاجه وشريعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه اللَّه لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب. . فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء»[٢].

الخميني ضال مضل وارجع إلى كتابه «الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه» وكتابه «تحرير الوسيلة» ومختصره «من هنا المنطلق» وكتابه «جهاد النفس أو الجهاد الأكبر». والأحاديث الواردة في الصحاح والتي بدونها يضيع ديننا لا ترد على لسانه أبدًا بل يرد في كتابه «الحكومة

---

(١) «حقيقةالمقاومة» ص(٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٨).

(٢) «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية (٤/ ١١٠).

الإسلامية» ص(٣٧ وما بعدها) أنه لا يعترف بها.

□ يترحم الخميني على «النوري» صاحب كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» والذي طبع سنة ١٢٩٨هـ. وقد قال علماء الشيعة عنه إنه من أعظم علماء الشيعة وكبار رجال هذا القرن.

ويحيل الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» عند ذكره لأحد الأحاديث إلى كتاب «دعائم الإسلام» وهو الكتاب الأكبر عند الإسماعيلية الباطنية الغلاة.

ويرجع الخميني إلى كتاب «الكافي» للكليني وفيه من الكفريات والضلالات الشيء الكثير كالأحاديث الواردة فيه بنقض القرآن وتحريفه، وأن الأئمة يوحى إليهم، وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء، وأنهم إذا شاءوا أن يعلموا علموا، وأنهم يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم، وفيه تكفير أبي بكر وعمر وعمرو وعثمان، وعقيدة الكليني في القرآن أنه ناقص محرف.

* **الخميني الضال يذهب إلى تحريف القرآن:**

هناك إجماع من الشيعة وعلى رأسهم الخميني على تقدير النوري، صاحب كتاب «مستدرك الوسائل» ويترحم عليه، و«الكافي» للكليني، و«الوسائل» للحر العاملي»، و«الاحتجاج» لأحمد الطبرسي وكلها تقول بتحريف القرآن.

وبين أيدينا وثيقة وهذه الوثيقة كتاب باللغة الأردية موثق من عدد من آياتهم المعاصرة ومنهم الخميني وهو طبقًا لما جاء في صدر الكتاب مراعين في ذكرهم النص الأردي:

١ ـ آية اللَّه العظمى... محسن حكيم طباطبائي مجتهد أعظم نجف أشرف.

٢ ـ آية اللَّه العظمى... أبو القاسم خوئي نجف أشرف.

٣ ـ آية اللَّه العظمى... روح اللَّه خميني.

٤ ـ آية اللَّه العظمى... محمود الحسيني.

٥ ـ آية اللَّه العظمى... محمد كاظم شريعتمداري.

٦ ـ مصدقة ماليجناب سيد العلماء علامة سيد علي تقي النقودي مجتهد لكهنو.

ويتضمن هذا الكتاب نصًّا بالعربية في حدود صفحتين كله يدور حول كيفية لعن صنمي قريش وهما حسب اعتقادهم ـ أبو بكر وعمر ـ واتهامهما بتحريف القرآن الكريم... ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾.

◻ وسنكتفي من هذا النص بموضع الشاهد لحديثنا.

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم... اللَّهم العن صنَمْي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وافكيهما وابنيتهما اللذيْن خالفا أمرك وأنكرا وحيك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرّفا كتابك»[(١)].

◻ **الخميني**: الذي يقول في كتابه «جهاد النفس» ص(١٨) عن معاوية ـ رضي اللَّه عنه ـ: «معاوية ترأس قومه أربعين عامًا، ولكنه لم يكسب لنفسه سوى لعنة الدنيا وعذاب الآخرة»، ويقول في «الحكومة الإسلامية» ص(٧١): «ولم تكن حكومة معاوية تمثل الحكومة الإسلامية أو تشبهها من قريب ولا بعيد».

ويتهم الصحابي الجليل سمرة بن جندب بأنه يفتري أحاديث تمس من كرامة أمير المؤمنين[(٢)].

---

(١) «تحفة العوام» مقبول جديد ص(٤٢٢).

(٢) «الحكومة الإسلامية» للخميني ص(٧١).

☐ يعتقد الخميني في نصوص «الكافي» للكليني، وقد ورد فيه أن الصحابة ارتدوا إلا ثلاثة.

☐ **الخميني**: الذي يتهجم على هارون الرشيد فيصفه بالجهل فيقول: «وها هو التاريخ يحدثنا عن جُهّال حكموا الناس بغير جدارة ولا لياقة، هارون الرشيد، أية ثقافة حازها؟ وكذلك من قبله ومن بعده»[١] .

☐ **الخميني**: الذي يطعن في خيار الأمة وينال من شرف روّادها يثني على الأقزام الملاحدة مثل النصير الطوسي فيقول: «ويشعر الناس بالخسارة أيضًا بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأمثاله ممن قدّموا خدمات جليلة للإسلام»[٢] .

والطوسي هذا هو محمد بن محمد بن الحسن الخوجه نصير الدين الطوسي المسئول مع عدو اللَّه ابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد عن الذبح العام الرهيب الذي ارتكبه الوثني هولاكو في أمة محمد ﷺ عند استيلائه على عاصمة الإسلام بغداد سنة ٦٥٥هـ، وكان الطوسي قبل ذلك من ملاحدة الإسماعيلية.

☐ قال ابن القيم: «ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولاكو شفى نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفى إخوانه من الملاحدة واستشفى هو فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين.. ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد... وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من

---

(١) «الحكومة الإسلامية» ص(١٣٣).

(٢) المصدر السابق ص(١٢٨).

الملحدين الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»[١] .

* **الخميني الضال المضل المغالي في أئمته الاثنا عشر :**

فيقول: «إن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون»[٢] .

ويقول في ص(٥٢): «والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنوارًا فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله، وقد قال جبرائيل - كما ورد في روايات المعراج - لو دنوت أنملة لاحترقت» .

ويقول: «والأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة»[٣] .

ويقول في ص(٥٢): «وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل» .

▫ قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: «ومن اعتقد في غير الأنبياء كونه أفضل منهم أو مساوٍ لهم فقد كفر، وقد نقل على ذلك الإجماع غير واحد من العلماء»[٤] .

وهذا هو مذهب غلاة الرافضة كما قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (١/ ١٧٧) .

▫ قال الإخوان عن حكم الخميني أنه: «الحكم الإسلامي الوحيد في العالم» .

---

(١) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (٢/ ٢٦٣) .

(٢) «الحكومة الإسلامية» ص(٥٢) .

(٣) المصدر السابق ص(٩١) .

(٤) «الرد على الرافضة» لشيخ الإسلام ابن عبد الوهاب ص(٢٣) .

ونحن نقول عن الخميني إمام حزب اللَّه أنه إمام من أئمة الكفر:

جاء في بيان التنظيم الدولي للإخوان المسلمين وصف حكم الخميني بأنه «الحكم الإسلامي الوحيد في العالم»[(١)].

وقالت مجلة الاعتصام: «أن ردود الفعل التي أحدثتها (حركة الخميني) كان مبعثها أن حركة الخميني حركة إسلامية مائة في المائة»[(٢)].

*** ونحن نقول عن الخميني أنه إمام من أئمة الكفر:**

وندلل على هذا بما سبق وقلناه عن عقيدته وبالآتي أيضًا.

(١) الاتجاه الوثني عنده:

في كتابه «كشف الأسرار» تحت عنوان «ليس من الشرك طلب الحاجة من الموتى»:

يقول: «يمكن أن يقال إن التوسل إلى الموتى وطلب الحاجة منهم شرك؛ لأن النبي والإمام ليس إلا جمادين فلا يتوقع منهما النفع والضرر.

والجواب: إن الشرك هو طلب الحاجة من غير اللَّه مع الاعتقاد بأن هذا الغير هو إله ورب.

وأما إذ طلب الحاجة من الغير من غير هذا الاعتقاد فذلك ليس بشرك، ولا فرق في هذا المعنى بين الحي والميت، ولهذا لو طلب أحد حاجته من الحجر والمدر لا يكون شركًا، مع أنه قد فعل فعلاً باطلاً!!!.

ومن ناحية أخرى نحن نستمد من أرواح الأنبياء المقدسة والأئمة

---

(١) انظر: «الشيعة والسنة ضجة مفتعلة» وهو من سلسلة الكتب التي تصدرها دار المختار الإسلامي ص(٥٢).

(٢) مجلة الاعتصام ـ العدد الخامس ـ السنة الثانية والأربعون ربيع أول ١٣٩٩هـ.

الذين أعطاهم اللَّه قدرة.

لقد ثبت بالبراهين القطعية والأدلة العقلية المحكمة حياة الروح بعد الموت، والإحاطة الكاملة للأرواح على هذا العالم!!!»[(١)].

(٢) اعتقاده تأثير الكواكب والأيام على حركة الإنسان وهو قول الصابئة الكفار:

يقول الخميني: «يكره إيقاعه ـ يعني عقد الزواج ـ والقمر في برج العقرب، وفي محاق الشهر، وفي أحد الأيام المنحوسة في كل شهر وهي سبعة: يوم ٣، ويوم ٥، ويوم ١٣، ويوم ١٦، ويوم ٢١، ويوم ٢٤، ويوم ٢٥ ـ وذلك من كل شهر ـ[(٢)].

❑ ويقول صاحب «التحفة الاثنا عشرية: «إن الصابئين كانوا يحترزون عن أيام يكون القمر بها في العقرب، أو الطرف، أو المحاق وكذلك الرافضة»، وكانت الصابئة يعتقدون أن جميع الكواكب فاعلة مختارة، وأنها هي المدبرة للعالم السفلي، وكذلك الرافضة»[(٣)].

(٣) قوله بالحلول والاتحاد:

«وله كتابان خطيران في ذلك: «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية»، و«سر الصلاة».

❑ قوله بالحلول الخاص:

يقول عن أمير المؤمنين علي: «خليفته [يعني خليفة الرسول ﷺ]

---

(١) «كشف الأسرار» للخميني ص(٣٠).

(٢) «تحرير الوسيلة» للخميني (٢/ ٢٣٨).

(٣) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٢٩٩) لشاه عبد العزيز الدهلوي، واختصره الشيخ محمد شكري الألوسي ـ المطبعة السلفية ـ.

القائم مقامه في الملك والملكوت، المتحد بحقيقته في حضرت الجبروت واللاهوت، أصل شجرة طوبى، وحقيقة سدرة المنتهى، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى، معلم الروحانيين، ومؤيد الأنبياء والمرسلين عليّ أمير المؤمنين»[١] .

❑ ومن منطلق دعوى حلول الرب لعلي ـ كما يُفترى ـ ينسب الخميني لأمير المؤمنين علي أنه يقول: «كنت مع الأنبياء باطنًا ومع رسول اللَّه ظاهرًا»[٢] .

ويعلق الخميني قائلاً: «فإنه عليه السلام صاحب الولاية المطلقة الكلية والولاية باطن الخلافة. . فهو عليه السلام بمقام ولايته الكلية قائم على كل نفس بما كسبت!!، ومع كل الأشياء معيّة قيّومية ظلية إلهية ظل المعية القيومية الحقة الإلهية إلا أن الولاية لما كانت في الأنبياء أكثر خصهم بالذكر»[٣] .

ويقول في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، قال: «أي: ربكم الذي هو الإمام»[٤] .

ب: قوله بالحلول والاتحاد الكلي:

يقول: «النتيجة لكل المقامات والتوحيدات عدم رؤية فعل وصفة حتى من اللَّه تعالى، ونفي الكثرة بالكلية، وشهود الوحدة الصرفة»[٥] .

---

(١) «مصباح الهداية» للخميني ص(١).
(٢) «مصباح الهداية» ص(١٤٢).
(٣) المصدر السابق ص(١٤٢).
(٤) «مصباح الهداية» ص(١٤٥).
(٥) «مصباح الهداية» ص(١٣٤).

ثم ينقل عن أحد أئمته أنه قال: «لنا مع اللَّه حالات هو هو ونحن نحن، وهو نحن، ونحن هو»[(١)] .

ثم يعلق على ذلك بقوله: «وكلمات أهل المعرفة خصوصًا الشيخ الكبير محي الدين مشحونة بأمثال ذلك مثل قوله: الحق خلق، والخلق حق، والحق حق، والخلق خلق».

«ويستدل على مذهبه في وحدة الوجود بقول ابن عربي والذي يصفه بالشيخ الكبير[(٢)] ، والقونوي، ويصفه بـ «خليفة الشيخ الكبير محي الدين»[(٣)] .

«وهكذا يتبين أن الخميني قد أخذ منهج أهل الحلول والاتحاد»[(٤)] .

ثالثًا دعوى النبوة:

أفرزت لوثات التصوف عند الخميني دعوى غريبة وكفرًا صريحًا حيث يرسم للسالك أسفارًا أربعة:

- ينتهي السفر الأول إلى مقام الفناء.

- وينتهي السفر الثاني إلى الفناء عن الفناء وتتم دائرة الولاية.

- أما في السفر الثالث فإنه: «يحصل له الصحو التام ويبقى بإبقاء اللَّه، ويسافر في عالم الجبروت والملكوت والناسوت، ويحصل له حظ من النبوة، وليست له نبوة التشريع، وحينئذ ينتهي السفر الثالث، ويأخذ

---

(١) المصدر السابق ص(١١٤).

(٢) المصدر السابق ص(٨٤، ٩٤، ١١٢).

(٣) المصدر السابق ص(١١٠).

(٤) «أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» ـ للدكتور ناصر القفاري (٣/ ١١٥١).

في السفر الرابع»[١] .

ـ وبالسفر الرابع: «يكون نبيًّا بنبوة التشريع»[٢] .

فمراحل السفر عنده هي: الفناء، والولاية وفيها الفناء عن الفناء، والنبوة بلا تشريع، ثم النبوة الكاملة.

وقوله هذا يتضمن أن النبوة مكتسبة عن طريق «رياضات» ومجاهدات أهل التصوف.

قال القاضي عياض: «نكفّر من أدعى النبوة لنفسه، أو جوّز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة الصوفية»[٣].

وقد ذكر الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية: «أن الفقيه الرافضي بمنزلة موسى وعيسى»، وادعى فخر الحجازي: «أن الخميني أعظم من النبي موسى وهارون» فعينه نائبًا عن طهران ورئيسًا لمؤسسة المستضعفين أعظم مؤسسة مالية في البلاد[٥] .

* الخميني يكفِّر صحابة رسول الله ﷺ عامة ويصرِّح بتكفير الشيخين:

يقرر الخميني في كتابه «تحرير الوسيلة» مشروعية التبري من أعداء الأئمة في الصلاة[٦] ـ وأعداء الأئمة في قاموس الشيعة هم صحابة رسول الله ﷺ إلا ثلاثة أو سبعة.

(١، ٢) «مصباح الهداية» ص(١٤٩).

(٣) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٠ ـ ١٠٧١).

(٤) «الحكومة الإسلامية» ص(٩٥).

(٥) «الثورة البائسة» لموسى الموسوي ص(١٤٧).

(٦) «تحرير الوسيلة» للخميني (١/ ١٦٩).

وهو في كتابه «كشف الأسرار» يصرّح بتكفير الشيخين[١] .

وقد ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي في ترجمته لبعض نصوص «كشف الأسرار» ما يتضمن مجاهرة الخميني بهذا الكفر[٢] .

* ونكفر الخميني بتفضيله مهدي الشيعة المنتظر على النبي محمد ﷺ:

فقد قال الخميني في خطاب له بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي ـ كما يعتقدون ـ في الخامس عشر من شهر شعبان ١٤٠٠هـ وأذيع من راديو طهران: «لقد جاء الأنبياء جميعًا من أجل إرساء قواعد العدالة لكنهم لم ينجحوا حتى النبي محمد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية.. لم ينجح في ذلك، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك هو المهدي المنتظر»[٣] .

◻ وفي احتفال رسمي وجماهيري أقيم في عبدان في ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م تأييدًا لإقامة الجمهورية الإسلامية ألقى د. محمد مهدي صادقي خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية، ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة ومما جاء في هذه الخطبة:

«أصرح يا إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة

---

(١) «كشف الأسرار» للخميني ص(١١٢) وما بعدها، وانظر «صورتان متضادتان» لأبي الحسن الندوي ص(٥٧ ـ ٥٨).

(٢) «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية» لأبي الحسن الندوي ـ ندوة العلماء ـ الهند.

(٣) «مجلة المجتمع» الكويتية العدد (٤٨٨) في ٨/ ٧/ ١٩٨٠م، و«نهج الخميني في ميزان الفكر الإسلامي» لبشار عواد ص(٤٥ ـ ٤٧) دار عمار للنشر.

المكرمة حرم اللَّه الآمن يحتلها شرذمة أشد من اليهود. . .» وذكر قبل ذلك بأنه حين تثبت ثورته سينتقلون إلى القدس وإلى مكة المكرمة وإلى أفغانستان وإلى مختلف البلاد»[١].

□وانظر ما كتبه الشيخ محمد عبد القادر آزاد رئيس مجلس علماء باكستان عما شاهده في أثناء زيارته لإيران، حتى يقول: بأنه رأى على جدران فندق هيلتون في طهران والذي يقيمون فيه شعارات مكتوبًا عليها «سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار»[٢].

* حزب اللَّه من الشيعة الإِمامية الاثنا عشرية الجعفرية ـ وهذه معتقداتهم الكفرية:

لقد أجاد وأفاد وأحسن في فضح الشيعة الاثنا عشرية الشيخ إحسان إلهي ظهير الذي تعد كتبه عنهم أحسن ما كتب في فضحهم حتى قتلوه ـ رحمه اللَّه ـ.

□ قالوا بتحريف القرآن، وممن قال بذلك الكليني والنوري والحرالعاملي والخميني.

□ وفي السنة المطهرة كانت لهم أصول منكرة كقولهم إن الإمام يوحى إليه بل يأتيه خلق أعظم من جبريل، ومن سمع حديثًا من أحد من الأئمة له أن يقول فيه: قال اللَّه؛ لأن قولهم كقول اللَّه.

□ وفيهم روح القدس التي بها «عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت

---

(١) أذيعت هذه الخطبة من صوت الثورة الإسلامية من عبادان الساعة ١٢ ظهرًا من يوم ١٧/٣/١٩٧٩م

(٢) «الفتنة الخمينية» للشيخ محمد آزاد ص(٩).

الثرى» وبها يرون ما غاب عنهم في أقطار الأرض وما في عنان السماء، ويذهبون إلى عرش الرحمن كل جمعة ليأخذوا من العلم ما شاؤوا.

❑ وقالوا: إن اللَّه سبحانه يناجي عليًّا والأئمة.

❑ وهم جهمية في نفي الصفات، وقدرية في نفي القدر، ومرجئة في قولهم بأن الإيمان معرفة الإمام وحبه، ووعيدية بالنسبة لغيرهم، حيث يكفّرون ما عدا طائفتهم.

❑ ويعتقدون أن الأئمة أنزلت عليهم كتب إلهية، وعندهم كتب الأنبياء يقرؤونها ويحكمون بها.

❑ وقالوا: إن الأئمة يأكلون من الجنة في الدنيا، وأن حساب الخلق إلى الأئمة يوم القيامة.

❑ وقالوا: إن لِقم بابًا إلى الجنة، وأهل قم لا يحشرون كسائر الناس.

❑ وقالوا: بالإمامة، والعصمة، والتقية، والغيبة، والرجعة، والظهور والطينية، والبداء وغيرها من العقائد الكفرية مما يضيق المجال هنا لشرحه وبيانه[1].

* تكفير علماء الأمة للشيعة الإمامية الاثنا عشرية بسبب تكفيرهم للصحابة ولعنهم إياهم:

كتب الشيعة الإمامية وأقوال أئمتهم مليئة باللعن والتكفير لمن

---

(١) انظر كل كتب الشيخ إحسان إلهي ظهير: «الشيعة والتشيع»، و«الشيعة والسنة»، و«الشيعة وأهل البيت»، و«الشيعة والقرآن»، و«موقف الخميني من الشيعة والتشيع» لمحمود سعد ناصح، و«أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» للدكتور ناصر القفاري، و«جاء دور المجوس» للدكتور عبد اللَّه الغريب.

رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وبيعة الرضوان وسائر الصحابة أجمعين وتقول كتبهم: إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة: سلمان والمقداد وأبا ذر.

◻ يقول ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفرًا قليلاً.. إما بضعة عشر أو أكثر ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا»[١].

وهم يخصون كبار الصحابة بمزيد من الطعن والتكفير لهم، ولهم في ذلك أقوال ونصوص تقشعر من سماعها جلود المؤمنين.

◻ وهم يخصون أبا بكر وعمر وعثمان ـ رضي اللَّه عنهم ـ وزراء رسول اللَّه ﷺ وأصهاره بالنصيب الأولى من التكفير، وانظر ما كتبه المجلسي شيخهم وكافرهم في كتابه «البحار» الذي يعدونه المرجع الوحيد في تحقيق المذهب، وانظر إلى «الكافي» للكليني، ورجال الكشي ونصوص كتب الشيعة تربو على المجلدات في تكفير الشيخين، بل ترى أن من أعظم الكفر الحكم بإسلامهما[٢]، وحينًا تنعتهم بأنهم الجبت والطاغوت[٣] وتارة تصب عليهم اللعنات ولا سيما في أدعية الزيارات[٤]، وأذكار ما بعد الصلوات حيث يستبدلونها بلعن الشيخين وسائر المسلمين[٥].

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣/ ٣٥٦).
(٢) «أصول الكافي» (١/ ٣٧٣).
(٣) المصدر السابق (١/ ٤٢٩).
(٤) «من لا يحضره الفقيه» لابن بابوية القمي (٢/ ٣٥٤).
(٥) «مستدرك الوسائل» للنوري (١٠/ ٣٤٢).

وقالوا: إن إبليس أرفع مكانًا في النار من عمر، وأن إبليس شرف عليه في النار.

وزعموا أن محمد بن أبي بكر بايع عليًّا ـ عليه السلام ـ على البراءة من أبيه[١] وأن أباه في النار[٢] «معاذ اللَّه».

◻ وقالوا تحت قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ قالوا: «ما بعث اللَّه نبيًّا إلا وفي أمته شيطانان يؤذيانه ويضلان الناس بعده، فأما صاحبا نوح... وأما صحابا محمد فجبتر وزريق»[٣].

وزريق مصغر لأزرق والمراد أبو بكر، وجبتر معناه الثعلب والمراد به عمر.

◻ وفي قوله سبحانه: «﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ**﴾، قالوا: فلان وفلان، ﴿**فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ**﴾ يعني: نعثل، ﴿**مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ**﴾ طلحة والزبير، ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ**﴾ معاوية»[٤].

قال المجلسي في «بحار الأنوار» (٣٠٦/٢٣): «المراد بفلان وفلان أبو بكر وعمر، ونعثل هو عثمان».

وكتب الشيعة الاثنا عشرية الرئيسية تطفح بهذا الركام:

«الكافي» للكليني، و«من لا يحضره الفقيه» لابن بابوية القمي،

---

(١) «رجال الكشي» ص(٦١).

(٢) «رجال الكشي» ص(٦٠).

(٣) «تفسير القمي» (٢١٤/١) طبعة النجف ١٣٨٦هـ.

(٤) «تفسير القمي» (١٠٦/٢)، و«بحار الأنوار» للمجلسي (٣٠٤/٢٣ ـ ٣٠٥).

و«بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي، و«وسائل الشيعة» للحرالعاملي، و«مستدرك الوسائل» للنوري الطبرسي.

* **ولذا كفّرهم الأئمة:**

❑ قال النووي: «إن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع»[١].

قال الشيخ ملا علي القاري: «قلت: وهذا في غير حق الرافضة الخارجة في زماننا فإنهم يعتقدون كفر أكثر الصحابة فضلاً عن سائر أهل السنة والجماعة، فهم كفرة بالإجماع بلا نزاع»[٢].

❑ وذكر النووي في «شرح مسلم» أن الإمامية لا يكفرون الصحابة، ويرى أن التكفير إنما هو عند غلاة الشيعة[٣]، فالإمامية في عصر النووي كانوا لا يكفرون الصحابة، أو أن الإمام ـ رحمه اللَّه ـ لم يعرف ذلك عنهم.

وقد ذهب إلى كفرهم الإمام مالك، وأحمد، والبخاري وغيرهم كالقرطبي وابن تيمية والألوسي.

* **الإمام مالك**: روى الخلال عن أبي بكر المروذي قال: سمعت أبا عبداللَّه يقول: قال مالك الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس لهم اسم أو قال: نصيب في الإسلام[٤].

❑ قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ**

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/ ٥٠).

(٢) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لملا علي القاري (٩/ ١٣٧).

(٣) «شرح النووي» (١٥/ ١٧٣).

(٤) «السنة» للخلال (٢/ ٥٥٧).. وإسناده صحيح.

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال: «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك ـ رحمة اللَّه عليه ـ في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من أهل العلم»[١] .

▫ قال القرطبي: «لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدًا منهم، أو طعن عليه في روايته فقد رد على اللَّه رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين»[٢] .

* **الإمام أحمد**: وردت عنه روايات عديدة في تكفيرهم:

فقد روى الخلال عن أبي بكر المروذي قال: سألت أبا عبد اللَّه عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟ قال: ما أراه على الإسلام».

▫ وقد جاء في كتاب «السنة» للإمام أحمد قوله عن الرافضة: «هم الذين يتبرءون من أصحاب محمد ﷺ ويسبونهم، وينتقصونهم ويكفرون الأئمة إلا أربعة: علي وعمار والمقداد وسلمان، وليست الرافضة

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٢١٩)، وانظر «روح المعاني» للألوسي (٢٦/١١٦)، فقد ذهب إلى تكفيرهم، وانظر أيضًا في استنباط وجه تكفيرهم من الآية ـ في «الصارم المسلول» ص(٥٧٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٦/٢٩٧).

من الإسلام في شيء»[١].

* وقال البخاري ـ رحمه الله ـ: «ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يعارون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم»[٢].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: هما ملتان الجهمية والرافضية[٣].

وسأل رجل الفريابي عمن يشتم أبا بكر؟ قال: كافر، قال: فيصلى عليه؟ قال: لا. وقال: لا تمسوه بأيديكم ارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته[٤].

وممن كفّرهم أحمد بن يونس، وأبو زرعة الرازي، وابن قتيبة.

قال عبد القاهر البغدادي: «وأما أهل الأهواء من الجارودية والهشامية والجهمية والإمامية الذين أكفروا خيار الصحابة ـ فإنا نكفرهم ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصلاة خلفهم»[٥].

وقال القاضي أبو يعلى: «وأما الرافضة فالحكم فيهم.. إنْ كفّر الصحابة أو فسّقهم بمعنى يستوجب به النار فهو كافر».

* وقال ابن حزم: «وأما قولهم ـ يعني النصارى ـ في دعوى الروافض تبديل القرآن، فإن الروافض ليسوا من المسلمين»... وهي طائفة تجري

(١) «السنة» للإمام أحمد ص(٨٢) تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري.
(٢) «خلق أفعال العباد» للإمام البخاري ص(١٢٥).
(٣) المصدر السابق ص(١٢٥)، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣٥/ ٤١٥).
(٤) «الصارم المسلول» لابن تيمية ص(٥٧٠).
(٥) «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي ص(٣٥٧).

مجرى اليهود والنصارى في «الكذب والكفر»[(١)] .

ثم قال: «ومن قول الإمامية قديمًا وحديثًا أن القرآن مبدل. . ».

ثم قال: «القول بأن بين اللوحين تبديلاً كفر صريح وتكذيب لرسول اللَّه ﷺ»[(٢)] .

□ وقال الإسفراييني: «وليسوا في الحال على شيء من الدين، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين».

□ وقال أبو حامد الغزالي: «فلو صرّح مصرح بكفر أبي بكر وعمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ، فقد خالف الإجماع وخرقه، وردّ ما جاء في حقهم من الوعد بالجنة والثناء عليهم والحكم بصحة دينهم وثبات يقينهم وتقدمهم على سائر الخلق في أخبار كثيرة»، ثم قال: «فقائل ذلك إن بلغته الأخبار واعتقد مع ذلك كفرهم فهو كافر»[(٣)] .

□ وقال القاضي عياض ـ رحمه اللَّه ـ: «نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء».

والشيعة المعاصرون يعدون هذا من ضرورات مذهبهم ومنكر الضروري كافر عندهم.

□ وقال السمعاني: «واجتمعت الأمة على تكفير الإمامية؛ لأنهم يعتقدون تضليل الصحابة، وينكرون إجماعهم وينسبونهم إلى ما لا يليق بهم»[(٤)] .

---

(١) «الفصل» لابن حزم (٢/ ٢١٣).
(٢) «الفصل» (٥/ ٤٠).
(٣) «فضائح الباطنية» لأبي حامد ص(١٤٩).
(٤) «الأنساب» للسمعاني (٦/ ٣٤١).

□ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول اللَّه ﷺ إلا نفرًا قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب ـ أيضًا ـ في كفره؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم.

بل من يشكك في كفر مثل هذا؟ فإن كفره متعين»[1].

□ وساق الإمام ابن كثير بعض الأحاديث الثابتة في السنة، والمتضمنة نفي دعوى النص والوصية التي تدعيها الرافضة لعلي، ثم قال بعدها معقبًا: «ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم أطوع للَّه ولرسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير من قدّمه، ويؤخروا من قدّمه بنصه، وحاشا وكلا، ومن ظن بالصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم ـ ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور، والتواطئ على معاندة الرسول، ومضادته في حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحلّ من إراقة المدام»[2].

□ وكفرهم شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب في رسالته «الرد على الرافضة»، والشيخ شاه عبد العزيز الدهلوي في «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٣٠٠).

□ وكفرهم الإمام الشوكاني فقال: «وبهذا يتبين أن كل رافضي خبيث يصير كافرًا بتكفيره لصحابي واحد، فكيف بمن كفّر كل الصحابة

---

(١) «الصارم المسلول» ص(٥٨٦ ـ ٥٨٧).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٢٥٢).

واستثنى أفرادًا يسيرة»[١].

☐ وعندما جاء بعض آياتهم لمناظرة العالم الرباني الشيخ الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» قال لهم: «لو كنا نتفق على أصول واحدة لناظرتكم، ولكن لنا أصول ولكم أصول، وبصورة أوضح لنا دين ولكم دين»[٢].

☐ وكفرهم الشيخ تقي الدين الهلالي في رسالته «مناظرتان بين رجل سني وإمامينِ مجتهدينِ شيعيين»[٣].

* للمخدوعين في «حزب اللَّه» الاثنى عشري نقول:

☐ إن لم ترضوا بأقوال هؤلاء العلماء الجهابذة من أساطين الإسلام، فاقرؤوا رسالة الشيخ محب الدين الخطيب: «الخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية»، والشيخ محمد بهجة البيطار في كتابه «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» ص(١٣١)، والقاسمي، ومحمد رشيد رضا، والدكتور مصطفى السباعي في مقدمة كتابه: «السنة ومكانتها في التشريع» ص(١٧)، وهو شيخ الإخوان في سوريا ـ رحمه اللَّه ـ، والشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، وشيخ علماء الجزائر البشير الإبراهيمي، وأحمد أمين، والدكتور محمد رشاد سالم.

* سلوا التاريخ يخبركم عن الرافضة الاثنى عشرية:

☐ [«من الذي تآمر مع التتار حتى استولوا على بغداد وقتلوا الخليفة

(١) «نثر الجوهر على حديث أبي ذر» للشوكاني.

(٢) «وجاء دور المجوس» ص(١٥١).

(٣) المصدر السابق ص(١٤٨).

المستعصم، وقتلوا معه ـ غدرًا وفي ساعة واحدة ـ مائتي وألف شخصية من العلماء والوجهاء والقضاة، واستمرت المذابح فيها بضعًا وثلاثين يومًا، قُتِل فيها حوالي ثمانمائة ألف مسلم ومسلمة؟.

ومن الذي تسبب في انحسار المدّ الإسلامي العثماني في أرجاء أوربة، وطعن الخليفة العثماني في ظهره بزحفه على عاصمة الخلافة بينما كان يتغلغل بجيوشه في أحشاء النمسا إلى أن دخل قلب «ڤيينا»، وكادت أوربا تدخل في حظيرة الإسلام لولا اضطرار الجيش العثماني إلى الانسحاب والرجوع إلى الرافضة لدحرهم ودفعهم؟»[1] .

ومن الذي تحالف مع ملك المجر ضد الدولة العثمانية؟}[2] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «كانوا من أعظم الأسباب في استيلاء النصارى قديمًا على بيت المقدس حتى استنقذه المسلمون منهم»[3] .

«ومن الذي سلّم أرض المسلمين في باكستان الشرقية لقمة سائغة للهندوس حتى يقيموا عليها الدولة المسخ «بنجلاديش»؟[4] .

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: «وها هي باكستان الشرقية ذهبت ضحية بخيانة أحد أبناء «قزلباش» الشيعة يحيى خان في أيدي

---

(١) انظر: «الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا» للدكتور محمد عبد اللطيف هريدي ـ دار الصحوة ـ القاهرة.

(٢) مقدمة كتاب «حقبة من التاريخ» لعثمان الخميس والمقدمة للدكتور محمد إسماعيل المقدم ص(٩ ـ ١٠) ـ دار الإيمان.

(٣) «منهاج السنة» لابن تيمية (٤/ ١١٠).

(٤) مقدمة: «حقبة من التاريخ» ص(١٠).

الهندوس»[١] .

◻ وقد عارض شيوخ الشيعة في باكستان تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد قال زعيم الشيعة مفتي جعفر حسين في مؤتمر صحفي بأن الشيعة يرفضون تطبيق الحدود الإسلامية؛ لأنها ستكون على مذهب أهل السنة[٢] .

*** وللرافضة دور خبيث في عدم قيام دولة إسلامية في أفغانستان:**

وتعامل طهران مع نظام نجيب الشيوعي في كابول لم يعد سرًّا، وقد تلقى نظام كابول معونات مالية من طهران طيلة السنوات الماضية، كان آخرها ما صرّحت به إذاعة كابول الملتقطة في باكستان أن النظام الأفغاني تسلم من طهران معونة نقدية إلى صندوق اللجنة النسائية مقدارها ٤٥ مليون روبية أفغانية... وأصبح قادة المجاهدين يشيرون بأصابع الاتهام إلى ضلوع حكام طهران في كثير من محاولات الاغتيال الفاشلة والناجحة التي تعرض لها كثير من قادة المجاهدين المخلصين ومناصريهم في أفغانستان وباكستان[٣] .

*** الدولة الصفوية ترعرعت بشيعة لبنان ولا ينكر هذا حسن نصر الله ـ وهي التي ذبحت أهل السنة:**

في الدولة الصفوية التي أسسها الشاة إسماعيل الصفوي فُرِض التشيع الاثنى عشري على الإيرانيين قسرًا وجُعِل المذهب الرسمي لإيران.

---

(١) «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير ص(١١).

(٢) «الأنباءالكويتية» في (١/ ٥/ ١٩٧٩م).

(٣) «مجلة السنة» ـ العدد ١٧ ـ ربيع الثاني ١٤١٢هـ ص(٧١، ٧٢).

ولقد أعمل سيفه في أهل السنة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، فمن يسمع السب منهم يجب عليه أن يهتف قائلاً: «بيش باد كم باد»، هذه العبارة تعني في اللغة الأذربيجانية أن السامع يوافق على السب ويطلب المزيد منه، أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قطعت رقبته حالاً، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع والأسواق وعلى المنابر منذراً المعاندين بقطع رقابهم[١] .

◻ وكبير شيوخ لبنان الكركي الذي يلقبه الشيعة بالمحقق الثاني والذي قربه الشاه طهماسب ابن الشاه إسماعيل وجعله الآمر المطاع في الدولة فاستحدث هذا الكركي بدعًا في التشيع فكان منها «التربة التي يسجد عليها الشيعة الآن في صلواتهم، فقد ألف فيها رسالة سنة ٩٣٣هـ»[٢] .

وهو «مخترع الشيعة» وقد ألف رسالة في لعن الشيخين ـ رضي اللَّه عنهما ـ سمّاها «نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت»[٣] .

ويقال: إنه هو الذي شرع السبّ في المساجد أيام الجمع[٤] .

فليهنأ حسن نصر اللَّه بشيوخه من الرافضة الذين أقاموا الدولة الصفوية.. التي تعاونت مع الأعداء مع البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس مع محاربتهم

---

(١) «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري» لكامل مصطفى الشيبي ص(٥٨).

(٢) «الفكر الشيعي» ص(٤١٦).

(٣) «الفكر الشيعي» ص(٤١٦).

(٤) الموضع نفسه من المصدر السابق.

للسنة وأهلها.

□ وما يقول حسن نصر اللَّه في أن أسياده بطهران لم يسمحوا ببناء مسجد واحد لأهل السنة حتى اليوم على الرغم من أنها تضم على مرأى ومسمع من الحكومة الإيرانية اثنى عشر كنيسة، وأربعة معابد يهودية وعددًا من معابد المجوس عبدة النار؟

* حسن نصر اللَّه وسوريا وإيران:

تتمتع القيادة الرسمية لحزب اللَّه، بما فيها الأمين العام الحالي حسن نصر اللَّه بعلاقات جيدة مع كل من سورية وإيران، ومن المرجح أن تستجيب لمتطلبات الأولى وحساسياتها بقدر استجابتها لمتطلبات الأخيرة وحساسياتها. وتقدير ميزانية الحزب بين العشرين مليون دولار والمئة والستين مليون دولار. والمال الإيراني يغرق لبنان عن طريق بعلبك منذ عام ١٩٨٢م، ويغدق على التنشئة العسكرية لميليشيات حزب اللَّه، كما يغدق للقيام بأعمال خيرية.

ويقدر زين حمود «دخل حزب اللَّه المالي النقدي من إيران بثلاثة ملايين دولار ونصف المليون في الشهر الواحد، بخلاف دخل شركات البناء والمقاولات والعقارات والاستشارات ومزارع الدواجن والسمك. وذلك منذ ١٩٩٠م، أما علي نوري زاده، فذهب إلى أن دخل الحزب الخميني بلغ عشرين مليون دولار في عام ١٩٩٠م، وخمسين مليون في عام ١٩٩١م، ويقدر أن يبلغ مئة وعشرين مليونًا في ١٩٩٢م، ومئة وستين في ١٩٩٣م»[1].

---

(١) «حزب اللَّه من الداخل ـ أسرار وخفايا» لزين محمود ـ مجلة الشراع (١٤/ ٨/ ١٩٩٥).

وتشير بعض المصادر إلى ارتفاع ميزانية حزب اللَّه في عهد رفسنجاني إلى ٢٨٠ مليون دولار[١].

وقد تواتر الخبر واستفاض العلم للقاصي والداني عن هذا الدعم الإيراني اللامحدود لحزب اللَّه.

«ولم تكن إيران وحدها على خط الدعم العام لحزب اللَّه، فقد كانت سوريا شريكًا وحليفًا قويًّا لإيران، وكان لهذا التحالف أثره على حزب اللَّه، وتحديد مساره»[٣].

* حقيقة النجاح العسكري لحزب اللَّه:

بداية نحن نفرح بأي انتصار حقيقي لحزب اللَّه على إسرائيل مثلما فرح رسول اللَّه ﷺ بانتصار الروم على الفرس؛ لأنهم أقرب إلى الحق من فارس فهم أهل كتاب وإن حرّفوا دينهم.

ونحن نفرح بانتصار هؤلاء المبتدعة من الشيعة الإمامية الاثنا عشرية من رجال حزب اللَّه.

وإن كنا نوقن بأن هذا النصر ليس على المستوى اللائق بهذا الزخم الضخم من الضجيج الإعلامي.

«ولقد أعلن زعماء حزب اللَّه في الماضي أنهم سيواصلون محاربة «إسرائيل» حتى «تحرير القدس»!! ولكنهم قالوا مرات كثيرة ما هو عكس

---

(١) «مجلة المجلة»، العدد ١٠١٣، (١١/٧/١٩٩٩م).

(٢) انظر حوار محمد حسين فضل اللَّه «مجلة الوسط»، العدد ٢٢٢/١١/٢/١٤١٦هـ، وحوار حسن نصر اللَّه مع «مجلة المقاومة» العدد ٣١ ص(٦).

(٣) انظر «حقيقة المقاومة» ص(١٦٣).

ذلك، أي أن هدفهم هو تحرير الأرض اللبنانية، وليس من شأنهم مواصلة العمل ضد «إسرائيل» بعد تحقيق هذا الهدف»[١].

«لم يبادر حزب اللَّه أبدًا بعمل ضد أراضي «إسرائيل»، وقصر هذا النشاط على الأراضي اللبنانية. ورغم أن مقاتلي حزب اللَّه قد وصلوا عدة مرات إلى خط الحدود، إلا أنهم لم يتسللوا إلى الأراضي الإسرائيلية، وكان يمكنهم أن يفعلوا ذلك بدون شك.

كما أن الحزب قد اعتمد على الحرب البعيدة وعدم المواجهة المباشرة مع جيش الدفاع الإسرائيلي، وذلك بزرع الألغام، والتي كانت تمثل نسبة عالية من الإصابات للجيش الإسرائيلي»[٢].

* شعارات لتخدير المغفلين لا تنطلي علينا:

مع أنه أتى في ميثاق حزب اللَّه أنه: «يجب إزالة إسرائيل من الوجود». ويدعو لتوحيد العرب والمسلمين ـ كما يقولون ـ لتحرير فلسطين كلها «من النهر إلى البحر!!» إلا أنه في الخطاب الذي ألقاه حسن نصر اللَّه في بنت جبيل عقب الانسحاب الإسرائيلي، والذي حضره مائة ألف جنوبي، أشار نصر اللَّه إلى أن حزب اللَّه لن يشارك في أي عمل عسكري ضد إسرائيل لهدف تحرير فلسطين!! وخلا هذا المهرجان الخطابي من شعار «زحفًا زحفًا نحو القدس».

وقد تكرّس التزام حزب اللَّه بضوابط الصراع مع إسرائيل في تفاهمي يوليو (تموز) ١٩٩٣م، إبريل (نيسان) ١٩٩٦م حيث تعهد الحزب

---

(١) «حقيقة المقاومة» ص(٢٢١).

(٢) «حقيقة المقاومة» ص(٢٢١).

بعدم ضرب أهداف إسرائيلية داخل فلسطين المحتلة بداية، وهو أمر كان الحزب يؤكد التزامه به، معتبرًا أن إطلاق صواريخ «الكاتيوشا» على المستعمرات الإسرائيلية في الجليل ليس سوى رد فعل على الاعتداءات الإسرائيلية على المدنيين. وهذه المسألة تمثل تحولاً في رؤية حزب اللَّه للصراع مع (إسرائيل) التي يتعاطى معها الحزب من حيث إنها أمر واقع موجود دون أن تكون لها أي صفة شرعية»[١].

* **حسن نصر اللَّه والسلام!!**

«صرّح السفير السوري في واشنطن، وليد المعلم، أن حزب اللَّه حركة مقاومة وطنية ولن تكون عقبة في طريق السلام إذا كان يلبي المصالح السورية واللبنانية، إن قيادة الحزب تدرك بأن أي اتفاق مقبول من سوريا ولبنان يكون ملزمًا لها على السواء.

وفي أثناء المباحثات السورية الإسرائيلية قصفت إسرائيل مدرسة أطفال في جنوب لبنان، بلدة عرب صاليم، وأدى ذلك القصف إلى جرح ١٥ تلميذًا وتلميذة وقد اضطر حزب اللَّه إلى لزوم الصمت العسكري وعدم الردّ بالمثل لئلا يعكر جو المفاوضات!!!

بل لقد استبق حسن نصر اللَّه الجميع باعترافه بأنهم أداة في يد المفاوضين في عملية السلام، فيقول: «إن المقاومة ورقة ضغط بيد المفاوض العربي»[٢].

---

(١) «حقيقة المقاومة» ص(٢١٤)، «جريدة الأنباء» العدد ٨٦٣٠، (٢٣/ ٢/ ١٤٢١هـ) ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٠م - وانظر «مجلة شؤون الأوسط» العدد ٥٩ يناير (١٩٩٧م) مقالة هيثم مزاحم: «حزب اللَّه وإشكالية التوفيق بين الأيديولوجيا والواقع».

(٢) «جريدة الأنباء» (٨٣٣١) ١٤/ ٢/ ١٤٢٠هـ - ٢٧/ ٧/ ١٩٩٩م.

وهذا ما أكّده كذلك نائبه نعيم قاسم حين قال: «إن المقاومة تخدم الموقف السوري بشكل صريح؛ لأن سوريا تعتبر المتصدي الأساسي من خلال قدرتها على إدارة الوضع في المنطقة»[١] .

وكما كان لحزب اللَّه دور هام في ترسيخ الوجود الإيراني في لبنان، فقد كان له الدور نفسه في خدمة سوريا، وهذا ما دفع صحيفة (لوموند) الفرنسية إلى القول بأن دمشق استعادت دورها عاصمة للسياسة الشرق أوسطية، وذلك من طريق لبنان ودور الحزب الخميني فيه[٢] »[٣] .

* حزب اللَّه مبتدعة حتى النخاع:

بدت البغضاء من أفواههم لأهل السنة، وما تخفي صدورهم أكبر، فعقب اتفاق الطائف الذي كان من أسباب وقف الحرب الأهلية التي كانت تدور في لبنان كانت هناك عبارات مكتوبة «الوهابيون رجس من عمل الشيطان!!، سننتقم من الوهابيين، لن تمرّ هذه الجريمة دون عقاب».. هذه العبارات كانت محمولة على لافتات في تظاهرة أخرجها «حزب اللَّه» في الجنوب اللبناني[٤] .

▫ وفي معرض رده على الأسئلة الموجهة إليه في أحد البرامج قال محمد حسين فضل اللَّه: «لم يكن هؤلاء الذين حكموا العالم الإسلامي في الماضي يحكمون باسم الإسلام فنحن لا نعتقد ـ على سبيل المثال ـ

---

(١) «مجلة المجلد »العدد (١٠٣٢) ٢٧/ ١١/ ١٩٩٩م ـ ١٣/ ٨/ ١٤٢٠هـ.

(٢) «لوموند» ٢١/ ٢/ ١٩٩٥م.

(٣) «حقيقة المقاومة» ص(٢٠٧، ٢٠٨).

(٤) «حقيقة المقاومة» ص(١١).

أن الحكم العثماني كان عادلاً وحرًّا وإسلاميًّا!!!»[1].

▫ إن حزب اللَّه استنساخ لعقيدة الآيات في قمّ.. يبث الحزب بدعه وسمومه ولعنه للصحابة وتفسيقهم وتكفيرهم في الحوزات والحسينيات ويستخدم التقية في طابوره الإعلامي: «تلفزيون المنار، وإذاعاته، صوت المستضعفين، و«صوت الإيمان»، و«صوت الإسلام» وصحيفته العهد، و«المقاومة» تصدر في مصر والقائم على إصدارها يساري مصري وترسم صورة نقية شفافة لحزب اللَّه لا تشوبها شائبة لخداع السذج.

ومع هذا فهم يبثون سمومهم وعقائدهم من خلال دور نشرهم: دار التيار الجديد ببيروت بلبنان وقد أصدرت كتيب «يا شهيد ـ لطمات حسينية»، والدار الإسلامية، وتتولى طبع كتب محمد حسين فضل اللَّه «الزعيم الروحي لحزب اللَّه».

▫ وتقوم مؤسسة أهل البيت بطبع مراجع الشيعة مثل كتاب «الاحتجاج» للطبرسي، ونشرت دار الأضواء بعض الكتب التي كتبها كبار مؤلفي الشيعة مثل: الشريف الرضي ونصير الدين الطوسي.

▫ وعلى شبكة الإنترنت تقوم مواقع حزب اللَّه وأبرزها «المقاومة» و«حزب اللَّه» و«المنار».

ولكن لا ينطلي دجلهم وكذبهم وعورهم على أهل السنة النابهين بل وعَوام أهل السنة الذي يهزم الواحد منهم جيشًا من المبتدعة.

---

(١) «قراءة في فكر زعيم ديني لبناني» ضمن حلقات «الإسلام والكونجرس الأمريكي» د. أحمد إبراهيم خضر ـ «مجلة المجتمع» العدد (٩٥٣) ص(٤٥).

* **تمخَّض الجبل فولد فأراً:**

وهكذا تمخض الجبل فولد فأرًا... ويومًا ما سيعلم الناس الدور الخفي لحزب اللَّه كحزام أمني يحمي حدود إسرائيل الشمالية من أهل السنة.. قد يكون هذا الكلام جد غريب.. وستكشف الأيام عن هذا.

تمامًا مثل فضيحة «إيران جيت» التي سرّبها مهدي هاشمي ـ صهر آية اللَّه منتظري المرشح السابق لخلافة الخميني وأحد دعاة تصدير الثورة ـ مسئول مكتب دعم حركات التحرير في العالم عام ١٩٨٦م، وتم إعدامه ١٩٨٧م لتسريبه هذه الفضيحة التي كشفت للناس دجل الشيعة في إيران.. فما ظنك بأذنابهم في لبنان، ومن أراد المزيد في قضية «إيران جيت» فليرجع إلى مذكرات وزير الخارجية الأمريكي وقت حدوث الفضيحة (جورج شولتز) «اضطراب ونصر» ـ الأهلية للنشر والتوزيع بعمان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

❑ **وكم في الحسينيات والحوزات والزوايا يا مبتدعة الحزب الخميني «حزب اللَّه» من خبايا.**

كم في الزوايا من خبايا، وإنّ موعد كشف زوركم لآت، وكل آتٍ قريب.. ويومها سيعلم الناس أن العدو لمّعكم لتكونوا حائطًا وسورًا منيعًا لحدوده الشمالية من أهل السنة... قد يكون هذا الكلام غريبًا في حاضرنا ولكن المستقبل يحمل ما يحمل والأيام حُبلى بالأعاجيب التي قد لا يصدقها عقل الآن... ولا نستبعدها نحن أهل السنة من استقرائنا للتاريخ.

❁ ❁ ❁

* وأخيراً:

يقول ابن تيمية في كلمات له أسطع من الشمس في صدقها:

«فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًّا وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة»[1].

وقال: «ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التي لا تشابهها فتن إنما تخرج عنهم»[2].

من مجّد «حزب اللَّه» بعد ما سردنا من عقيدته وعقيدة إمامه الخميني فهو غاش لأهل الإسلام متشدق بفرية ما بعدها فرية، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

«الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل»، تلك الحكمة التي تجلّت في بعض المواقف الشجاعة من دعاة خُدِعوا أولاً بالسراب الإيراني، ثم لما لم يجدوه شيئًا أعلنوا رجوعهم للحق، وحذّروا الأمة، وكتبوا ناصحيها ومحذريها، وأخص بالذكر الأستاذ/ سعيد حوى ـ رحمه اللَّه ـ فرسالته الرائعة» «الخمينية شذوذ في العقائد، وشذوذ في المواقف» خير مثال على ذلك»[3].

فكل من سطّر حرفًا في الثناء على حزب اللَّه وأنه أمل الأمة

---

(١) «منهاج السنة» (٣/ ٢٤٣).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٤٥).

(٣) من كلام الشيخ محمد إسماعيل المقدم في مقدمته «الحقبة من التاريخ» ص(١٦).

المنشود في طرد إسرائيل وتحرير القدس بعد أن بينا وأطلنا في النقل عن عقيدتهم، فإنا نقول فيه:

أثّـر البهتـــان فيـــه وانطلى الزور عليـــه

مـــلأ الجـــوّ صراخًا بحيـــاة قـاتـلِيـــه

يا لَـهُ من بـبّـغـاء عقـــله في أذنيـــه

❁ ❁ ❁

وللَّه در القائل:

يا إِخوة الإيمان نهر عقيدتي يجوى وقد شكت الجفافَ الأنهرُ

نهرٌ روافِدُه تصفِّق للندى طربًا يحيط بها البساط الأخضرُ

نهرٌ من الإســلام يبـدأ نبعُه وعلى مرافِئـهِ يطيب المنظرُ(١)

ويقول عن دعاة القومية والعلمانية:

غضبتُ لأمتي مِمّنْ يغنّي لها وفـؤاده دنسٌ وحِقـدُ

تُعيرهم الصّحافةُ مقْلتيْها فهُم في عُرفها الركنُ الأشَدُّ

لهُمْ عبْـر الإذاعـة ألفُ صوتٍ وفي التِّلْفازِ أذرعَةٌ تُمَدُّ

على وطنيـة التفكير قامـوا وتحت غطائها قبضوا ومدّوا

وباسم ثقافة العصر استباحوا حِمَى الفكر الأصيلِ وعنه نَدُّوا

أقول لهم ثقافتكم هباءٌ وليس لغيمكم برقٌ ورَعْـدُ

---

(١) من قصيدة «لا تسألوا عن أمتي» للعشماوي من ديوانه «يا أمة الإسلام» ص(٧٦) ـ الناشر مكتبة العبيكان.

أقولُ لهم: كتابُ اللَّه فيكم ... إلى يَنبوعه الصافي المَرَدُّ
لنا وطنية ليست نشازًا ... فما تجفو الكتابَ ولا تَنِدُّ
لنا البيت الحرام، لنا حراءٌ ... نعم، ولنا تهامتنا ونجدُ
لنا الأقصى، لنا شام ومصر ... لنا يَمَنٌ وبغدادٌ وسِنْدُ
لنا في المغرب العربي أهلٌ ... وأحبابٌ، وفي كابول جنْدُ
لنا الإسلامُ يجمع شمل قومي ... وإنْ ورمتْ أنوفُ من استبدُّوا
ولا وطنية لدعاة فكرٍ ... دخيلٍ، مِنْ سِوانا يُسْتَمَدُّ
إذا صارتْ روابطُنا تُرابًا ... عليه حبال أمّتنا تُشَدُّ
فلا تعجبْ إذا اضطربتْ خُطانا ... وساوَمَنا على الأمجادِ وَغْدُ
ولا تعجب إذا صارتْ رُؤانا ... تَغِيمُ، وقَصْرُ فرحتنا يُهَدُّ[1]

▫ ولله دره حين يقول:

هم أيها الأقصى دُعاةُ «عروبةٍ» ... بثيابها المستوردات تسربلوا
ملئوا حقائبَهم بقوميّاتهم ... يا بئس ما حملوا، وما لم يَحمِلُوا
أفكارُ أمتنا تُصاغُ صياغَةً ... عند العدوّ، وداؤها متأصِّلُ
عُلَب يُغَلّفُها العدوُّ، وخَتْمُه ... فيها الصليبُ ونجمةٌ والمنجَلُ
يا ويحَ أمتنا ينكّس رأسُها ... عمْدًا، ومقلُتها الجميلةُ تُسْمَلُ
يا ويح أمتنا يمزَّق ثوبُها ... بيد ابنها الباغي الذي لا يَعقِلُ
يا ويح أمتنا بخنجر بعضِ مَنْ ... نُسبوا إليها تُستباح وتُقتَلُ

---

(١) من قصيدة «دمعة حزن في مقلة عروس» للعشماوي ص(١٧١ ـ ١٧٣) من ديوان «يا أمة الإسلام».

يا مسـجدَ الأقصى، عروبةُ قَوْمَنا ... وَهْـمٌ كبير ما عليه مُـعَـوّلُ

زفّـوا إلى الأوطـان علمـانيّةً ... سوداءَ، بالدَّعوى تصـاغُ وتُصقَـلُ

قالوا سـتمحو الجـرحَ عقـلانيّـةٌ ... فلبئس مـا نطقـوا به وتـقوّلوا

غرسوا على درب الكرامـة حنظـلاً ... يا ليت شعري، هَلْ يساغُ الحنظلُ

ألقوْا كتاب اللّه خلف ظهورهم ... وتلاعبـوا بنصـوصـه وتـأوّلوا

يا مسجد الأقصى، عواصف أمتي ... عصفتْ، وربّـان السـفينة أعزلُ

فإلى متى نبقى على أوهامهَا ... نبني، وعن نهـج العقيدة نَشْغَلُ

يا مسـجد الأقصى تَراكَمَ حولنا ... هَمٌّ، وأوهـام، وليـلٌ أليـلُ

عُذْرًا، فقد يصحوا النَّـؤوم ويمتطي ... ظهرَ البطولةِ مَن لديـه المِشْـعَلُ

نَسْـعَى، ونُنْـذِرُ قومَنـا، وإلهُنـا ... يقضي، ويكتب ما يشاء، ويفعَلُ[1]

❁ ❁ ❁

❑ **يقول أحمد فرح عقيلان:**

إنّ العروبـة روحـها إسـلامها ... والجسـم دون الروح معنـاه الردى

اسأل صـلاح الدين في حطينـة ... متفقهـا.. متـديّنًا.. متعبـدا

---

(١) من قصيدة «وقفة على بوابة المسجد الأقصى» من ديوان «يا أمة الإسلام» للعشماوي.

من يلتمس غير الحنيفة منقذًا
فهو الذي ابتاع الضلالة بالهدى
لما تبدّلنا شرائع غيرنا
بشريعة الإسلام أصبحنا سُدى
تلك المبادئ مزّقت أعلامنا
وغدا بها الشمل الجميع مبددا
وإذا اليهوديّ الذليل يجوس في
أقداسنا متبجحًا.. متمردا
إن الذي كتب اليهود أذلّة
كتب العلاء لحزبه والسؤددا
جيش العروبة حين أعلن أنّها
دين أقام العالمين وأقعدا
واليوم أعلن أنها دنيا فما
صمدت لفئران البريّة شرّدا!![1]

□ **ويقول:**

إن يُسلخ العُرب من إسلامهم رجعوا
على شمال المعالي بعض أصفار
اللّه يا قوم بالقرآن شرّفنا
فهل نبدّله مسموم أفكار

---

(١) ديوان «رسالة إلى ليلى» ص(٧٩).

مبــادئ الكفر قـد جـرّت هزائمنا
وصيّرت عارنـــا نشــرات أخبــار
يا قـــوم لا ترتضـوا الأصنـــام آلهـــة
فإنهـــا أهدرتنـــا أي إهـــدار[١]

□ **ويقول:**

هزمنـــا يـــوم ضـــاع الدين منّا
أليس الكفـــر مصـــدر الانهـــزام؟
وهمنـــا بالمناصب وهـــي غُـــلّ
وأسـلمنا الأمـــانـــة للحرامـــي!!

□ **ويقول: أحمد فرح عقيلان مصوّرًا حال العرب ومنهم الشعب الفلسطيني:**

أبكي وأهلي عنّي في مخاصمـة
نيرانـهـا بسـياط الذّل تصليني
في كل يـــوم لهم نصرٌ ومعركة
في المهرجانـات لا في مثـــل حطّين
كم أشعلوا بينهم حقـدًا ومعركة
جيش البـــلاغـــة فيهـا بالملايـين
كم روّجوا الهدم والترويج فانشغلوا
حـــول الهـــوى بين مـاويٍّ ولينيني

(١) «جرح الإباء» ص(٢٤ ـ ٢٥).

لو تسمع اللعن في المذياع منهمرًا
خِلْتَ الفصاحة آلت للمجانين
وتحت ألف شعار سار موكبهم
يستنزل النصر من عند الشياطين
حتى نمت دولة الكفار واحتشدت
وكان ما كان من خزي ومن هون[1]

❑ **ويقول أحمد صدّيق:**

فلسطين ضاعت يوم ضاعت عقيدة
وبات فساد الحال أقبح مقتنى![2]

❑ **ويقول عدنان النحوي في المعنى نفسه:**

لست أبكي ترابها ومروجًا
نضبت أو حجارة صمّاء!!
إنما أندبُ العقيدة تذوي
في نفوسٍ تعيسة والإباءَ
ما هجرنا ديارنا غير أنّا
قد هجرنا العقيدة السمحاءَ
لفظتنا الديار إذ ذاك لفظًا
وأحالت كرامنا غرباءَ[3]

---

(١) «رسالة إلى ليلى» (٨٩ ـ ٩٠). (٢) «نداء الحق» لأحمد محمد الصديق ص(٢٢٦).
(٣) من ديوان «الأرض» للنحوي ص(٦٤).

□ ويقول أحمد فرح عقيلان:

مبيناً أن النصر لا يكون إلا بوحدة في ظل العقيدة والإسلام.

أنا مؤمن أن اليهود وإن طغوا
ستؤول دولتهم إلى أيدينا
والله لن يحظو بنوم هانئ
ما دام عرق الدين ينبض فينا
إسلامنا لا يقبل استسلامنا
اسأل به كسرى وقسطنطينا
واسأل عماد الدين عن حصن الرُّها
واسأل صلاح الدين عن حطينا
لا نصر إلاّ بالتضامن مبدأً
صدقًا وإلاّ بالحنيفة دينا[1]

❁ ❁ ❁

(١) «جرح الإباء» (٥٣ ـ ٥٤).